جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

سُبُل الهُدَى وَالرَّشَادِ
فِي سِيرَةِ خَيْرِ العِبَادِ

لِلإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

الجزء الثالث

تحقيق
الأستاذ عبد العزيز عبد الحق حلمي

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

جُمَّاع أبْواب الْهجرة إلَى الْمدينَةِ الشّرِيفَةِ

الباب الأول

٤٠٤ ظ

فى إذن النبي صلى الله عليه وسلَّم للمسلمين فى الهجرة إلى المدينة

روى ابن سعد عن أبى أُمَامة بن سهل بن حُنَيْف [وعن عُرْوة عن[١]] عائشة رضى الله عنهما قال : لما صَدَر السبعون من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم طابت نَفْسُه وقد جعل الله له مَنَعَةً وقَوْماً أَهْلَ حَرْبٍ [وعُدَّة[١]] ونَجْدَة ، وجعل البلاءُ يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج[٢] فضَيَّقوا على أصحابه وتَعبَّثُوا[٣] بهم ، ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالون من الشَّتْم والأذى ، فشكا ذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة ، فقال : « قد أُرِيتُ دارَ هجرتكم ، أُرِيتُ سَبْخَةً ذات نَخْلٍ بين لابَتَيْن » — وهما الحَرَّتان — « ولو كانت السَّرَاةُ أَرْضَ نَخْلٍ وسِبَاخ لَقُلْتُ هِيَ هِيَ » . ثم مكث أياماً ثم خرج إلى أصحابه مسروراً فقال : « قد أُخْبِرْتُ بدار هجرتكم وهى يَثْرِب ، فمن أراد الخروج فَلْيَخْرُجْ إليها » . فجعل القوم يَتَجَهَّزُون ويترافقون[٤] ويتواسَوْن ويخرجون ويُخْفُون ذلك . فكان أول من قَدِم المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سَلَمة بن عبد الأَسَد[٥] — بسين ودال مهملتين . قال ابن إسحق : « هاجر إلى المدينة قبل بيعة العقبة بسنة . وحُبِست عنه امرأته أم سَلَمة هِنْد بنت أبى أمية بن المغيرة

---

(١) زيادة من طبقات ابن سعد جـ ١ ص ٢١٠ .

(٢) فى ط : الخزرج بدلا من الخروج .

(٣) فى الأصول : وتبعوهم وأثبتنا ما أورده ابن سعد حيث نقل عنه المؤلف .

(٤) فى طبقات ابن سعد : ويتوافقون .

(٥) هو أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، واسمه عبد الله وهو من المهاجرين من قريش من بنى مخزوم ، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً ، انظر ابن هشام جـ ٢ ص ٧٧ وقال ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٢١٨) إن أمه هى برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

بمكة نحو سنة ثم أَذِن[1] لها بنو المغيرة الذين حبسوها فى اللحاق بزوجها فانطلقت وحدها
٤٠٥ و مهاجِرة حتى إذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة [بن أبى طلحة[2]] / أخابنى عبد الدار وكان يومئذ مشركاً وأسلم بعد ذلك ، فشيَّعها حتى إذا أَوْفَى على قرية بنى عَمْرو بن عَوْف بقُبَاء قال لها : هذا زوجك فى هذه القرية . ثم انصرف راجعا إلى مكة ، فكانت تقول : ما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأْخر عَنِّى حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فَحَطَّ عنه ثم قَيَّده فى الشجرة ، ثم أتى إلى شجرة فاضْطَجَع تحتها ، فإذا دَنَا الرَّوَاح قام إلى بعيرى فقدَّمَه فَرَحَلَه[3] ، ثم استأْخر عَنِّى وقال : ارْكَبِى . فإذا رَكِبْتُ واسْتَوَيْتُ على بعيرى أتى فأخذ بخِطَامِه فقادنى[4] ، [فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أَقْدَمَنِى المدينة[5]] .

وقيل أول المهاجرين مُصْعَب بن عُمَيْر . روى البخارى فى صحيحه ، والحاكم فى الإكليل عن البَرَاء بن عازب قال : « أَوَّلُ من قَدِم علينا المدينةَ من المهاجرين مصعب بن عُمَيْر » . وروى ابن إسحق وابن سعد : « ثم كان أول من قَدِمَها من المهاجرين بعد أبى سَلَمة : عامر بن ربيعة [حليف بنى عدى بن كعب[6]] ، معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمَة[7] ـ بالحاء المهملة المفتوحة وسكون الثاء المثلثة ـ قالا : وهى أول ظعينة قدمت المدينة » .

قال ابن إسحق : « ثم عبد الله بن جَحْش[8] احْتَمَل بأَهله وبأَخيه أبى أحمد عَبْد بن

---

(١) روى عنها ابن إسحق فى سبب إطلاقها أنها قالت : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكى حتى مسى ، سنة أو قريباً منها حتى مر بى رجل من بنى عمى أحد بنى المغيرة ، فرأى ما بى فرحمنى فقال لبنى المغيرة : ألا تحرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا لى : الحقى بزوجك إن شئت ابن هشام جـ ٢ ص ٧٧ .

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) رحل البعير يرحله رحلا ورحلة من باب فتح جعل عليه الرحل ، والرحل هو ما يوضع على ظهر البعير للركوب وكل شىء يعد للرحيل .

(٤) فى ابن هشام : فقاد بى .

(٥) زيادة من ابن هشام .

(٦) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ٧٨ .

(٧) هى ليلى بنت أبى حثمة بن حذيفة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى القرشية العدوية امرأة عامر بن ربيعة وهى أم ابنه عبد الله بن عامر وبه كانت تكنى وكانت من المهاجرات الأول هاجرت الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة وصلت القبلتين ، انظر ، أسد الغابة جـ ٥ ص ٥٤١ .

(٨) هو عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس ، انظر ابن هشام جـ ٢ ص ٧٨ .

جَحْش ـ بإضافة عَبْد إلى ابن جَحْش ـ وكان أبو أحمد رجلاً ضرير البَصَر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسْفَلَها بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفارعة ابنة أبي سُفْيان بن حرب ، وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم فعَدَا أبو سفيان على دارهم[1] فتَمَلَّكَها ، قال بعضهم : إنه باعها من عَمْرو بن علقمة أخى بنى عامر بن لؤى ، فذكَرَ ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألاَ ترضى يا عبد الله أن يُعْطِيَكَ الله بها داراً فى الجنة خيراً منها ؟ » قال : بلى . قال : « فذلك لك » . ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ كَلَّمَه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد إن رسول الله يكره أن ترجعوا فى شىء أُصِيب منكم فى الله . فأمسك الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحق : وكان بنو غَنْم بن دُوَدان أهْلَ إسلام ، قد أوْعَبُوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هِجْرَةً رِجَالُهُمْ ونساؤهم : [عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد ابن جحش ، وعكاشة بن مِحْصَن وشجاع وعُقْبَة ابنا وَهْب وأربد بن حُمَيْر][2]

وروى ابن السمان فى « الموافقة » عن على[3] رضى الله عنه قال : ما عَلِمْتُ أن أحَدًا من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عُمَر بن الخطَّاب فإنه لما هَمَّ بالهجرة تَقَلَّد سَيْفَه وتَنَكَّبَ قَوْسَه وانتضى فى يده أسْهُماً واخْتَصَر عَنَزَتَه[4] ، ومضى قِبَل الكعبة ، والمَلأُ من قريش بفِنَائها فطاف بالبيت سَبْعاً [متمكناً[5]] ، ثم أتى المقام فصلى ركعتين[6] ، ثم وَقَفَ

---

(١) فى الأصول : فغدا أبو سفيان عليها ، والسياق يقتضى النص على كلمة : دارهم لمعرفة الشىء الذى عدا عليه أبو سفيان ، هذا وكلمة فغدا مصحفة وصوابها بالعين المهملة من عدا على الشىء يعدو عداء وعدواناً غصبه وسرقه .

(٢) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٨٠) وأثبتنا ضبط ابن هشام لاسم أربد بن حمير ، وفى رواية وهب بن جرير عن أبيه عن ابن إسحق : ابن حمزة وكذلك رواية يونس بن بكير عن ابن إسحق ، ورواه ابن سعد عن ابن إسحق أربد بن حمير بضم الحاء المهملة وفتح الميم وتشديد المثناة التحتية وآخره راء قاله الأمير أبو نصر بن ماكولا ، انظر أسد الغابة جـ ١ ص ٥٨ هذا وقد أورد ابن حجر جانباً من هذه الخلافات فى اسم أربد فى الإصابة جـ ١ ص ٢٥ .

(٣) أورد ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٤ ص ٥٨) إسناداً مطولا لرواية على بن أبى طالب نذكر جانباً منه فيما يلى : حدثنا عبد الله بن القاسم الآملى عن أبيه عن عقيل بن خالد عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن عبد الله بن عباس قال : قال لى على بن أبى طالب : ثم ذكر ما رواه .

(٤) اختصر أى أمسك المخصرة والعنزة « فى النهاية (جـ ٣ ص ١٣٢) هى مثل نصف الرمح أو أكبر شيئا وفيها سنان مثل سنان الرمح والعكازة قريب منها . واختصر عنزته أى حملها مضمومة إلى خاصرته .

(٥) زيادة من أسد الغابة جـ ٤ ص ٥٨ .

(٦) فى أسد الغابة : فصلى متمكنا .

على الخَلق واحدةً واحدة وقال لهم : شاهَتْ الوجوه ، لا يُرْغِم الله إلا هذه المعاطس ، من أراد أن يُثْكِلَ أُمَّه أو يُؤْتِمَ وَلَدَه أو يُرْمِلَ زوجته فَلْيَلْقَنِي وراء هذا الوادى . قال على رضى الله عنه : فلم يتبعه أَحَدٌ إلا قوم من المُسْتَضْعَفِين عَلَّمهم ما أرشدهم إليه ثم مضى لوجهه . وروى ابن إسحق : [حدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه(١)] عمر ابن الخطاب رضى الله عنه قال : اتَّعَدْتُ لما أردنا الهجرة إلى المدينة أنا وعَيَّاش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص [بن وائل(٢)] السَّهْمِيّ التَّنَاضُب من أَضَاة بنى غِفار فوق سَرِف ، وقلنا : أَيُّنَا لم يُصْبِح عندها فقد حُبِس فَلْيَمْضِ صاحباه . قال : فأصبحتُ أنا وعَيَّاش بن أبى ربيعة عند التناضُب وفَطِن لهشام قَوْمُه فحبسوه عن الهجرة وفُتِن فافْتَتَن . ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام ـ وأسلم بعد ذلك ـ خرجا حتى قَدِما المدينة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فقالا لعَيَّاش ابن أبى / ربيعة وكان ابن عَمِّهما وأخاهما لأُمهما : إن أُمَّك ٤٠٥ ظ
قد نَذَرَتْ أَلاَّ يَمَسَّ رأسَها مُشْط حتى تراك ولا تَسْتَظِلَّ من شمس حتى تراك ، فَرَقَّ لها . فقلتُ له : يا عَيَّاش إنه والله إن يريدُك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فَاحْذَرْهُم ، فوالله لو قد آذى أُمَّكَ القَمْلُ لا متشطت ، ولو قد اشْتَدَّ عليها حَرُّ مكة لاستظلَّت . فقال : أَبَرُّ قَسَم أُمِّى ولى هنالك مالٌ فآخذه . فقلتُ : والله إنك لتعلم أنى [لمن(٣)] أكثر قريشاً مالاً فَلَكَ نصف مالى ولا تذهب معهما . فأَبَى عَلَىَّ إلا أن يخرج معهما . فلما أَبَى إلا ذلك قلت : أما إذ قد فعلتَ ما فعلت فَخُذْ ناقتى هذه فإنها ناقةٌ نجيبة ذَلُول فَالْزَمْ ظَهْرَها ، فإن رابك من القوم رَيْب فانْجُ عليها ، فخرج [عليها] معهما ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جَهْل : والله يا أخى لقد استغلظتُ بعيرى هذا ، أَفَلا تُعْقِبُنى على ناقتك هذه ؟ . قال : بلى .

قال فأَناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما اسْتَوَوْا بالأرض عدوا عليه فأَوثقاه رباطاً وفَتَنَاهُ فافتتن ودخلا به مكة نهاراً مُوثَقاً ، ثم قالا : يا أَهْلَ مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا . قال عمر : فكنا نقول : ما الله تعالى بقابلٍ مِمَّنْ افتتن صَرْفاً

---

(١) إسناد رواية ابن إسحق نقلا عن ابن هشام جـ ٢ ص٨٤

(٢) زيادة من ابن هشام .

(٣) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص٨٦ .

ولا عَدْلاً ولا توبة ، قَوْمٌ عرفوا الله ثم رَجَعُوا إلى الكفر لبلاءٍ أصابهم . قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قَدِم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ واتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِن رَبِّكُم مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ العَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ[1]) .

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : فكتبتُها بيدى فى صحيفة وبعثت بها إلى هشام ابن العاصى . قال : فقال هشام : فلما أتتنى جعلتُ أقرؤها بذى طَوَى[2] أُصَعِّد بها فيه وأُصَوِّب ولا أفهمها حتى قلت : اللهم فَهِّمْنيها قال : فأَلْقَى الله تعالى فى قَلْبِى أنها إنما أُنْزِلت [فينا[3]] وفينا كنا نقول فى أنفسنا[4] . قال : فرجعت إلى بعيرى فجلستُ عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا ما ذكره ابن إسحق فى شأن هشام .

قال ابن هشام : فحدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة : « مَنْ لى بعَيَّاش بن أبى ربيعة وهشام بن العاصى ؟ » فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لَكَ يا رسولَ الله بهما . فخرج إلى مكة فقَدِمها مُسْتَخْفِياً ، فلقى امرأةً تحمل طعاماً فقال لها : أَيْنَ تريدين يا أَمَةَ الله ؟ قالت : أُريد هَذَيْن المحبوسَيْن . تعنيهما ، فتَبِعها حتى عَرَف مَوْضِعَهُما ، وكانا محبوسَيْن فى بيت لا سقف له ، فلما أَمْسَى تَسَوَّر عليهما ثم أخذ مَرْوَةً[5] فوضعها تحت قَيْدَيْهِما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما ، فكان يقال لسيفه : ذو المَرْوَة ،

---

(١) سورة الزمر الآيات ٥٣ و ٥٤ ، ٥٥ .

(٢) ذو طوى واد بمكة وضبطها البكرى فى معجمه (ج ٣ ص ٨٩٦ بفتح كل من الطاء المهملة والواو .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ٨٧)

(٤) ذكر الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٧٧ و ٢٧٨ عن ابن عباس قال : نزلت فى أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية .. وعن ابن عباس أيضا أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا ثم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذى تدعو إليه لحسن إن تخبرنا لما عملناه كفارة فنزلت هذه الآية. رواه البخارى ويروى أيضا أن هذه الآية نزلت فى وحشى قاتل حمزة . هذا وقد أورد الواحدى ما رواه نافع عن عبد الله بن عمر عن أبيه عن سبب نزول هذه الآيات كما ذكر ابن هشام .

(٥) قال الأصمعى : المرو حجارة بيض براقة تقدح منها النار ، الواحدة مروة ، وبها سميت المروة بمكة ، عن الصحاح للجوهرى .

لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثَر فَدَمِيَتْ إصبعه فقال :

هَلْ أَنْتِ إلا إِصْبَعٌ دَمِيتِ ؟ وفى سبيل الله ما لَقِيتِ

ثم قَدِم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تتابع المهاجرون أَرْسالاً[1] فنزل طَلْحَة بن عُبَيْد الله وَصُهَيْب بن سِنان على خُبَيْب[2] - بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة - ابن إساف - بكسر الهمزة - بالسُّنْح ويقال بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زُرَارة .

وروى ابن سعد عن سعيد بن المُسَيَّب أن صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كُفَّار قريش : أَتَيْتَنَا صُعْلوكاً حقيراً فكَثُر مالُك عندنا وبَلَغْتَ الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك . فقال لهم صهيب / : أَرَأَيْتُم إن جعلتُ لكم مالى أَتُخْلُونَ سبيلى ؟ ٤٠٦ و
قالوا : نعم . قال : فإنى جعلتُ لكم مالى . قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « رَبِحَ صُهَيْب رَبِحَ صُهَيْب[3] » .

قال ابن سعد : لما قَدِم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أَرْسَالاً فنزلوا فى الأَنصار فى دورهم وآوَوْهُم ونصروهم وآسوهم ، وكان سالم مولى أبى حُذَيفة يَؤُمّ المهاجرين بقُبَاء قبل أن يَقْدَم النبى صلى الله عليه وسلم . قال ابن إسحق وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤْذَنَ له فى الهجرة ، ولم يَتَخَلَّف معه بمكة أَحَدٌ من المهاجرين إلا من حُبِس أو فُتِن ، إلا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قُحافة رضى

---

(١) فى شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣١٨) : أرسالا بفتح الهمزة أى أفواجا وفرقا متقطعة واحدهم رسل بفتح الراء والسين المهملة كما فى النور وقال شيخنا : وفيه تغليب فقد خرج كثير منهم منفردين مستخفين .

(٢) قال السهيلى (جـ ١ ص ٢٨٩) . وذكر نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف ويقال فيه يساف بياء مفتوحة فى غير رواية الكتاب وهو إساف بن عنبة ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما فى قول الواقدى بل تأخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر . قال خبيب . فخرجت معه أنا ورجل من قومى وقلنا له : نكره أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم . فقال : أأسلمتما ؟ فقلنا لا . فقال : ارجعا فإنا لا نستعين بمشرك .

(٣) روى ابن الأثير فى ترجمة صهيب (أسد الغابة جـ ٣ ص ٣٠ : ٣٣) أن صهيبا عند هجرته تبعه نفر من المشركين فنسل كنانته وقال لهم : يا معشر قريش تعلمون أنى من أرماكم ووالله لا تصلون إلى حتى أرميكم بكل سهم معى ثم أضربكم بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء فإن كنتم تريدون مالى دللتكم عليه. قالوا : فدلنا على مالك ونخلى عنك فتعاهدوا على ذلك فدلهم عليه ولحق برسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع أبا يحيى فأنزل الله (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله) (من الآية ٢٠٧ من سورة البقرة) .

الله عنهما . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له : « لا تَعْجَلْ لعل الله يجعل لك صاحباً » . فيطمع أبو بكر أن يكونه .

قال ابن سعد : وكان نَفَرٌ من الأنصار بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الآخرة ، ثم رجعوا إلى المدينة ، فلما قَدِم أول من هاجر إلى قُبَاء خرجوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، حتى قَدِموا مع أصحابه فى الهجرة ، فهم مهاجرون أنصاريون وهم : ذَكْوَان بن عبد قيس [بن خَلَدة الزُّرَقِى[1]] ، وعُقْبَة بن وَهْب بن كَلَدَة والعَبَّاس [ابن عُبَادة[1]] بن نَضْلة وزياد[2] بن لبيد [بن ثعلبة الخزرجى البياضى[1]] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكر ابن إسحاق وابن سعد أن أول من هاجر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أبو سَلَمة عبد الله بن عبد الأسَد . وروى ابن أبى شيبة والبُخارى عن البَرَاء بن عازب رضى الله عنه أنه قال : أول من قَدِم علينا المدينة من المهاجرين مُصْعَب بن عُمَيْر . قال الحافظ : « فيُجْمَع بينهما بحمل الأوَّلِيَّة فى أحدها على صفة خاصة . فقد جَزَم ابن عُقْبَة بأن أول من قَدِم من المهاجرين مطلقاً أبو سَلَمَة بن عبد الأسد ، وكان رجع من الحبشة إلى مكة ، فأُوذِىَ بمكة ، فبلغه ما وقع للاثنى عشر من الأنصار فى العقبة الأولى ، فتوجه إلى المدينة فى أثناء السنة ، فيُجْمَع بين ذلك وبين ما وقع فى حديث البَرَاء بأن أبا سَلَمَة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فِراراً من المشركين ، بخلاف مُصْعَب بن عُمَيْر فكان على نية الإقامة بالمدينة » .

الثانى : جزم أبو عُمَر بأن ليلى بنت أبى حَثْمَة بن غانم أول ظعينة دخلت المدينة من المهاجرات ، وقال موسى بن عُقْبَة بل أم سَلَمَة فالله أعلم .

الثالث : ذكر ابن إسحق فى مهاجرات بنى [غَنْم بن] دُودَان بن أسد : بنات جَحْش

---

(١) زيادة من ابن هشام وابن الأثير .

(٢) فى الأصول : إياد بن لبيد والتصويب من الإصابة وأسد الغابة .

وذكر فيهنّ أُم حبيبة ـ بالهاء ـ وقال السهيلى[1] : أُم حبيب ـ بغير هاء ـ وقال أبو عُمَر : هو قول الأكثر ، قال الحافظ[2] : كذا قال . قُلْتُ لأن قصتها فى الاستحاضة رَواها الزُّهْرى عن عُرْوَة عن عائشة رضى الله عنها . وقال عَمْرو بن الحارث ، ومحمد بن إسحق وابن أبى ذئب كلهم عن الزهرى : أُم حبيبة بالهاء وقال مَعْمَر عنه : أُم حبيب بغير هاء ، وقال يحيى بن أبى كثير عن أُم سَلَمَة عن أُم حبيبة بالهاء . وقال ابن عيينة عن الزهرى : أُم حبيبة أو حبيب على الشك . فظهر من هذا أن أكثر الرواة قالوا أُم حبيبة بالهاء خلافاً لما قاله أبو عُمَر . قال فى العيون : « وأما ابن عساكر فعنده أُم حبيبة واسمها حَمْنَة فهما أى بنات جحش ثنتان على هذا » . انتهى . قُلْتُ : كان مستند الحافظ ابن عساكر فى ذلك ما رواه أبو داود والترمذى عن عمران بن طلحة عن عبيد الله عن أُمه حَمْنَة بنت جحش قالت : كُنْتُ أُسْتَحَاض فذكر الحديث . فلما رأى الحافظ ابن عساكر حديث الاستحاضة
٤٠٦ ظ تارةً يُرْوَى عن حَمْنَة بنت جحش وتارة يُرْوَى عن أُم حبيبة ظَنَّ أن اسم / أُم حبيبة حَمْنَة ، وليس كذلك فإن حَمْنَة غير أُم حبيبة وكل منهما اسْتُحِيض . وقد ذكر ابن إسحق وابن سعد وغيرهما بنات جحش وسَمُّوهُنّ وذكروا أزواجهن ، ولهذا مزيد بيان فى كتابى : « عَيْنُ الإصابة فى معرفة الصحابة » ، أعان الله على إكماله .

الرابع : ذكر ابن إسحق من نساء بنى جحش : جُذَامَة بنت جَنْدَل : قال السهيلى :

---

(١) لفظ السهيلى (جـ ١ ص ٢٨٥) : أم حبيب بنت جحش التى كانت تستحاض وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وحمنة بنت جحش التى كانت تحت مصعب بن عمير وكانت تستحاض أيضا وقد روى أن زينب استحيضت أيضا ووقع فى الموطأ أن زينب بنت جحش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف وكانت تستحاض ، ولم تلك قط زينب عند عبد الرحمن ابن عوف ولا قاله أحد .. وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ويقال فيها أم حبيبة غير أن شيخنا أباعبد الله محمد ابن نجاح أخبرنى أن أم حبيب كان اسمها زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية فعلى هذا لا يكون فى حديث الموطأ وهم ولا غلط

(٢) أى ابن حجر وقد قال فى الإصابة (جـ ٨ ص ٢٢٢ رقم ١٢٠٣) : أم حبيبة بزيادة هاء فى آخرها بنت جحش أخت زينب زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، كانت تحت عبد الرحمن بن عوف فاستحيضت فأخرج مسلم عن عائشة أن أم حبيبة بنت جحش ختنة رسول الله استحيضت سبع سنين فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحديث . ورواه معمر عن الزهرى فقال أم حبيب بغير هاء . وقال يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أم حبيبة . وقال ابن قتيبة عن الزهرى إن أم حبيب ، أو أم حبيبة على الشك وقال محمد بن إسحق عن الزهرى عن عروة عن أم حبيبة بنت جحش أنها استحيضت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها بالغسل عند كل صلاة فإنها كانت لتخرج من المركن وقد علت حمرة الدم على الماء فتصلى . وجاء فى النهاية جـ ٢ ص ١٠١ : فى حديث حمنة كانت تجلس فى مركن أختها وهى مستحاضة : المركن بكسر الميم الإجانة التى يغسل فيها الثياب والميم زائدة وهى التى تخص الآلات .

« وأَحْسَبُها جُذَامَة بنت وَهْب وأما جُذَامة بنت جندل[1] فلا تُعْرَف فى آل جحش الأَسديين ولا فى غيرهم ولعله وَهْم وقع فى الكتاب وأنها بنت وَهْب بن مِحْصَنْ بنت أخى عُكَّاشَة بن مِحْصَن[2] . قال فى الزهر : وهذا غير لأن محمد بن جرير ذكر جُذَامَة فى المهاجرات ، قال : والمُحَدِّثون قالوا فيها : جُذَامة بنت وَهْب ، والمختار أنها بنت جَنْدَل الأسدية أُخت عُكَّاشة بن مِحْصن المشهور ، وتكون أُخته من أُمِّه .

وفى كتاب الصحابة لابن حِبَّان : جُذَامَة بنت جَنْدَل من بنى غَنْم من المهاجرات ، وجُذَامة بنت وَهْب من بنى هلال . وفى الطبقات لابن سعد : جُذَامَة بنت جندل الأسدية أَسلمت قديماً وبايعت وهاجرت إلى المدينة . ويزيد ذلك وضوحاً ما ذكره أَبو الحَسَن الخزرجى فى كتاب تقريب المدارك فى الكلام على مُوَطَّأ مالك : أَن جُذَامَة بنت وهب أَسلمت عام الفتح ، ودال جُذَامَة رُوِى إعجامها وإهمالها[3] وصُحِّح .

الخامس : فى بيان غريب ما سبق :

« اللَّحاق » : بفتح اللام مصدر لَحِقَه ولَحِقَ به[4] . « أَرْسَالاً » : بفتح الهمزة أَى أَفواجاً وفِرَقاً . « التنعيم » : على لفظ المصدر محل بين مكة وسَرِف[5] على مرحلتين من

---

(١) قال ابن حجر فى الإصابة (ج ٨ ص ٣٧) فى ترجمة جذامة بنت جندل أن ابن إسحق ذكرها فيمن هاجر من نساء بنى غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة من أهل مكة.. وذكر الطبرى فى الذيل أنها هى بنت وهب فإن المحدثين قالوا هى بنت وهب . وقال ابن سعد أسلمت قديما بمكة وبايعت وهاجرت إلى المدينة وكانت تحت أنيس بن قتادة الأنصارى الدوسى وهو بدرى استشهد بأحد ، وتبعه ابن عبد البر . وقيل التى كانت تحت أنيس بن قتادة خنساء بنت خدام ولا مانع أن تكونا جميعا زوجتيه . هذا ولم يزد ابن الاثير فى أسد الغابة (ج ٥ ص ٤١٤) على ذكر رواية ابن إسحق أن جذامة بنت جندل من نساء بنى غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة كانت فيمن هاجر إلى المدينة .

(٢) فى الإصابة (ج ٨ ص ٣٧) جاء فى بعض طرق الحديث الذى رواته جذامة بنت وهب الأسدية أنها أخت عكاشة ابن وهب مع أن المسمى بعكاشة فى أسد الغابة (ج ٤ ص ٢) وفى جوامع السيرة لابن حزم هو عكاشة بن محصن

(٣) جاء فى تعليق السهيلى على اسم جذامة أنها هى المذكورة فى حديث الرضاع فى الموطأ وقال فيها خلف بن هشام البزار جذامة بالذال المنقوطة ، هكذا ذكر مسلم بن الحجاج ، والمعروف جدامة بالدال المهملة وقد يقال فيها جدامة بتشديد الدال المهملة . والجدامة قصب الزرع .. وعن أبى عمر الزاهد قال : الجدامة بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة .

(٤) من لحق الثمن أو اليمين فلانا يلحق لحقا ولحاقا من باب فرح لزمه ، ولحق به أدركه .

(٥) فى معجم البكرى (ج ١ ص ٣٢١) : التنعيم على لفظ المصدر من نعمته تنعيماً وهو بين مر وسرف ، بينه وبين مكة فرسخان ومن التنعيم يحرم من أراد العمرة وهو الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن أبى بكر أن يعمر منه عائشة وإنما سمى التنعيم لأن الجبل الذى عن يمينه يقال له نعيم والذى عن يساره يقال له ناعم والوادى نعمان .

مكة . « مَنَعَة » : بفتحتين أى فى قوم يمنعونه ويحمونه جمع مانع ككاتب[1] وكَتَبَة وتقدم مبسوطاً غير مرة . « السَّبِخَة » : بكسر الموحدة وتُسَكَّن الأرض المالحة . « بين لابَتَيْن » : تثنية لابة بالموحدة وهى الحَرَّة[2] وتأتى . « الحَرَّتَان » : تثنية حَرَّة[3] وهى أرض ذات أحجار سود نَخِرة كأنَّها أُحْرِقت بالنار . « السَّرَاة » : بفتح السين المهملة أعظم جبال بلاد العرب . « الظعينة » : بفتح الظاء المعجمة المُشَالة[4] : المرأة وأصله الهَوْدج الذى تكون فيه المرأة[5] . « عَدَا » : بالعين المهملة من العُدْوان[6] . « فأَبْطَأَ » : بهمزة مفتوحة فى أوَّله وأخرى فى آخره . « أُصِيب منكم » بالبناء للمفعول . « أوعبوا[7] » : قال ابن السِّكِّيت : أَوْعَبَ بنو فلان جلاءً لم يبق بدارهم منهم أحد . « تَنَكَّب قَوْسَه[8] » : ألقاها على مَنْكِبِه . « انْتَضَى فى يده أَسْهُمَاً » أى سَلَّها من كِنَانته وتركها مُعَدَّة فى يده وكذلك انْتَضَى سَيْفَه ونَضَاه سَلَّه . « اختصر العَنَزَة » العَنَزَة بالتحريك أطول من العصا وأقصر من الرُّمْح وفيه زُجّ كَزُجّ الرُّمْح ، واختصرها حملها مضمومة إلى خاصرته . « المعاطِس » جمع مَعْطِس بزِنَة مَجْلِس وهو الأنف . « وإرغامها » : إلصاقها بالرَّغَام وهو التراب كَنَّى بذلك عن الإهانة والذُّلّ .

---

(١) فى المصباح : هو فى منعة بفتح النون أى فى عز من قومه فلا يقدر عليه من يريده . قال الزمخشرى : وهى مصدر مثل الأنفة والعظمة أو جمع مانع وهم العشيرة والحماة ويجوز أن تكون مقصورة من المناعة وقد تسكن فى الشعر لا فى غيره خلافا لمن أجازه مطلقا .

(٢) فى التاج : اللابة واللوبة الحزة والجمع لوب ولاب ولابات وهى الحرار وأما سيبويه فجعل اللوب جمع لابة كقارة وقور وساحة وسوح وفى الحديث . حرم النبى صلى الله عليه وسلم ما بين لابتى المدينة وهما حرتان تكتنفانها .قال الأصمعى وغيره اللوبة هى الأرض التى قد ألبستها حجارة سود وجمعها لابات ما بين الثلاث إلى العشر فإذا كثرت فهى اللاب واللوب .

(٣) فى النهاية (جـ ١ ص ٢١٥) تجمع حرة على حر وحرار وحرات وحرين وأحرين وهو من الجموع النادرة .

(٤) يقال شلت به شولا من باب قال رفعته ، يتعدى بالحرف على الأفصح ويتعدى بنفسه لغة ويستعمل الثلاثى مطاوعا فيقال شلته فشال . وشال الميزان يشول إذا خفت إحدى كفتيه وشالت نعامتهم طاشوا خوفا فهربوا .

(٥) فى المصباح : يقال للمرأة ظعينة فعيلة بمعنى مفعولة لأن زوجها يظعن بها أى يرتحل بها . ويقال الظعينة الهودج وسواء كان فيه امرأة أم لا والجمع ظعائن وظعن بضمتين . ويقال الظعينة فى الأصل وصف للمرأة فى هودجها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت فى بيتها لأنها تصير مظعونة .

(٦) من عدا على الشىء يعدو عداء وعدوانا وعدوانا سرقه ، وعدا عليه وثب

(٧) فى التاج : ومن المجاز أوعب القوم إذا حشدوا وأوعب بنو فلان إذا جاءوا أجمعين .

(٨) ومنه الحديث فى النهاية (جـ ٤ ص ١٧٤) : كان إذا خطب بالمصلى تنكب على قوس أو عصا أي اتكأ عليها ، وأصله من تنكب القوس وانتكبها إذا علقها فى منكبه .

« التَّنَاضِبُ » : بمثناة فوقية مفتوحة فنون فألف فضاد معجمة مضمومة هو اسم موضع ويُرْوَى بكسر الضاد جمع تَنْضُب وهو شجر واحدته تنضبة[1] . « الأَضَاة »[2] : بفتح الهمزة والضاد المعجمة بوزن حَصَاة ومَنَاة الغدير يجتمع من ماء المطر يُمَد ويُقَصْرَ . « غِفَار » بكسر الغين المعجمة وبالفاء وبالراء[3] . « سَرِف » بفتح السين والراء المهملتين وبالفاء موضع بين مكة والمدينة[4] « تَسَوَّر الحائط » تَسَلَّقه . « المَرْوَة » : الحجر الصلب . « فعَثَر » بفتح المثلثة صَدَم رِجْلَه شيء . « ذو طوى » بتثليث الطاء بمكة قال النووى يُصْرَف ولا يُصْرَف[5] .

---

(١) فى معجم البكرى (جـ ١ ص ٣٢٠) سميت التناضب لأنها تنبت التنضب . وفى التاج التنضب بفتح التاء وضم الضاد شجر حجازى شوكه كشوك العوسج ودخان التنضب أبيض مثل لون الغبار .

(٢) فى النهاية (جـ ١ ص ٣٤) الأضاة بوزن الحصاة الغدير وجمعها أضى وآضاء كأكم وآكام . ولكن البكرى فى المعجم (جـ ١ ص ١٦٤) ذكر أن جمعها إضاء وقال بأنها موضع بالمدينة . بينا ذهب ياقوت فى معجم البلدان (جـ ١ ص ٢٨٠) إلى أنها موضع قريب من مكة فوق سرف قرب التناضب . وهذا مما يتفق مع قصة هجرة عمر .

(٣) نسى المؤلف أن يقول بأن غفار قبيلة من كنانة

(٤) فى معجم البكرى (جـ ٣ ص ٧٣٥) سرف بفتح أوله وكسر ثانيه بعده فاء على ستة أميال من مكة من طريق مر وقيل سبعة وتسعة واثنا عشر .

(٥) فى معجم البكرى (جـ ٣ ص ٨٩٦) . طوى بضم أوله وكسره مقصور اسم واد فى أصل الطور بالشام وهو المذكور فى التنزيل . وقال محمد بن يزيد : طوى اسم واد يصرف لأن إحدى العلتين قد انخرمت عنه وبالتنوين قرأ الكوفيون وابن عامر . وذو طوى بفتح أوله مقصور منون على وزن فعل واد بمكة .

الباب الثانى

٤٠٧ و

فى سبب هِجْرَة النبى صلى الله عليه وسَلَّم بنفسه الكريمة / وكفايةُ الله تعالى رَسُولَه مَكْرَ المشركين حين أرادوا ما أرادوا

روى ابن إسحق وعبد الرَّزَّاق والإمام أحمد وابن جرير وابن المُنْذِر والطبرانى عن ابن عباس ، وعبد الرَّزَّاق وعَبْد بن حُمَيْد عن قَتَادة ، والبيهقى عن ابن إسحق أن قريشاً لما رأت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بَلَدهم ، وَرَأَوْا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عَرَفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا جِواراً ومَنَعة ، فحَذِروا خروجَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعَرَفوا أنه قد أَجْمَع لحربهم ، فاجتمعوا له فى دار النَّدْوَة – وهى دار قُصَىّ بن كِلاب التى كانت قريش لا تقضى أمراً إلا فيها – يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم حين خافوه . فاجتمعوا لذلك واتَّعَدُوا ، وكان ذلك اليوم يُسَمَّى يوم الزَّحْمَة فاعترضهم إبليس [لَعَنَه الله[1]] فى هيئة شيخ جليل عليه بَتٌّ له ، فوقف على باب الدار ، فلما رَأَوْه واقفاً على بابها قالوا : مَنْ الشَّيْخ ؟ قال : شيخٌ مِن أهل نَجْد سَمِع بالذى اتَّعَدْتُم له فحَضَر معكم ليسمع ما تقولون وعسى ألا تَعْدَمُوا[2] منه رأياً ولا نُصْحاً . قالوا : أَجَلْ فَادْخُل ، فَدَخَل معهم ، وقد اجتمع فيها أشراف قريش : [من بنى عبد شمس[3] :] عُتْبَة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان ابن حرب – وأسلم بعد ذلك – [ومن بنى نَوْفَل بن عبد مناف[3]] : طُعَيْمَة بن عَدِىّ ، وجُبَيْر بن مُطْعِم – وأسلم بعد ذلك – [والحرث بن عامر بن نوفل . ومن بنى عبد الدار

---

(١) زيادة من ابن هشام .

(٢) فى طبعة التجارية لسيرة ابن هشام (القاهرة سنة ١٩٣٧ م جـ ٢ ص ٩٣) : وعسى ألا يعدمكم منه رأيا ونصحا . ومن الجائز قراءة الفعل ثلاثيا فى المصباح عدمته عدما من باب تعب فقدته والاسم العدم وزان قفل ، ويتعدى إلى ثان بالهمزة فيقال لا أعدمنى الله فضله وقال أبو حاتم عدمنى الشىء وأعدمنى فقدنى وأعدمته فعدم مثل أفقدته ففقد ببناء الرباعي للفاعل والثلاثى للمفعول .

(٣) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٩٣) .

ابن قُصَيّ[1] :] النَّضْر بن الحرث بن كَلَدَة [ومن بنى أَسَد بن عبد العُزَّى[1]] : أَبو البَخْتَرِى ابن هشام ، وزَمْعَة بن الأَسود - وأَسلم بعد ذلك - وحكيم بن حِزام - وأَسلم بعد ذلك ، [ومن بنى مخزوم[1] :] أَبو جَهْل بن هشام ، [ومن بنى سَهْم[1]] : نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجَّاج ، [ومن بنى جُمَح[1]] : أُمَيَّة بن خَلَف ، ومن كان معهم ، وغَيْرُهم مِمَّنْ لا يُعَدّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأَيتم ، وإِنَّا والله ما نأْمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأَجمعوا فيه رأْياً . قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم - نقل السهيلى عن ابن سَلاَّم أَنه أَبو البَخْتَرِىّ بن هشام - احبسوه فى الحديد وأَغْلِقوا عليه باباً ، ثم تَرَبَّصوا به ما أَصاب أَشْباهَه من الشعراء الذين كانوا قبله : زُهَيْراً والنابغة ومَنْ مضى منهم من هذا المرت حتى يُصِيبَه ما أَصابهم . فقال الشيخ النجدى[2] - لعنه الله - لا والله ما هذا لكم برأى ، والله لوحبستموه كما تقولون لَيَخْرُجَنَّ أَمْرُه من وراء الباب الذى أَغلقتم دونه إلى أَصحابه ، فلأَوشكوا أَن يَثِبُوا عليكم فينتزعوه من أَيديكم ، ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أَمركم ، ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره .

فتشاوروا ثم قال قائل منهم - ذكر السهيلى أَنه أَبو الأَسود ربيعة بن عَمْرو أَحد بنى عامر بن لؤى - نُخْرِجُه من بين أَظهرنا فننفيه من بلادنا ، فإِذا خرج عنا فوالله ما نُبَالى أَين ذهب ولا حيث وقع ، إِذا غاب عنا وفَرَغْنَا منه فأَصلحنا أَمْرَنا وأُلْفَتَنَا [كما كانت[3]] فقال الشيخ النجدى : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، أَلَمْ تروا حُسْنَ حديثه وحلاوةَ مَنْطِقِه وغَلَبَتَه على قلوب الرجال بما يأْتى به ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أَمِنْتُمْ أَن يَحُلَّ على حَىٍّ من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأَكم بهم [فى بلادكم[3]] ، فيأخذ أَمركم من أَيديكم ، ثم يفعل بكم ما أَراد ، دَبِّروا

---

(١) زيادة من ابن هشام (جـ٢ ص٩٣) .

(٢) فى الروض الأنف (جـ ١ ص ٢٩١) : وإنما قال إبليس لهم إنى من أهل نجد ، فيما ذكر بعض أهل السير ، لأنهم قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد .

(٣) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ٩٤) .

فيه رأياً غير هذا . فقال أبو جهل بن هشام : والله إن لى فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد .

٤٠٧ ظـ قالوا : وما هو يا أبا الحَكَم ؟ قال : أرى / أن تأخذوا من كل قبيلة فَتًى شابّاً جَلْدًا نسيباً وسيطاً ، ثم نعطى كل فتىً منهم سَيفاً صارماً ، ثم يَعْمدُوا إليه بأجمعهم فيضربوه بها ضَرْبَةَ رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إن فعلوا ذلك تَفَرَّق دَمُه فى القبائل جميعاً ، فلم يَقْدِر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعَقْل فعقلناه لهم[1] . فقال الشيخ النجدى أخزاه الله : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى لا أرى غَيْرَه

وذكر ابن الكلبى فى الجمهرة[2] أن إبليس لما حمد رأى أبى جهل قال :

الرَّأْىُ رَأْيَان : رَأْىٌ ليس يَعْرِفه ... هادٍ ورَأْىٌ كنَصْلِ السَّيْفِ معروفُ

يكون أَوَّله عِـزٌّ ومَكْـرُمَـةٌ ... يوماً وآخِرُهُ جِـدٌ[3] وتشريفُ

وتَفَرَّق القومُ على ذلك وهم مُجْمِعون له . فأتى جبريل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تَبِتْ هذه الليلة على فِراشك الذى كنت تبيت عليه ، وأخبره بمكر القوم وإذْن الله تعالى له بالخروج . فلما كانت العَتَمة من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونه متى ينام فيثبون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب : « نَمْ على فِراشى وتَسَجَّ بِبُرْدِى هذا الحَضْرَمِىّ الأخضر فَنَمْ فيه فإنه لن يَخْلُصَ إليك شىءٌ تكرهه منهم » ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك إذا نام .

فلما اجتمعوا قال أبو جهل بن هشام : إن محمداً يَزْعُم أنكم إن تابعتموه على أمره

---

(١) روى السمهودى فى وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٦٨) أن أبا جهل قال : قد رأيت الصلح من رأيكم أن يعطى خمس رجال من خمس قبائل سيفا سيفا فيضربونه ضربة رجل فيتفرق دمه فى هذه البطون فلا يقدر لكم بنو هاشم على شىء . وعلق الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ١٢٢) على ذلك بقوله : فلعلهم استبعدوا عليه قوله من كل قبيلة إذ لا يمكن عشرون مثلا ، أن يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال .

(٢) يشير المؤلف إلى كتاب جمهرة الأنساب لهشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ وكان عالما بالأخبار والنسب والأوائل والجاهلية والأشعار والأسمار وتستغرق عناوين مؤلفاته فى الفهرست لابن النديم ما يقرب من صحيفتين (١٤٢ ، ١٤٣) وكان المستشرق الإيطالى جورجيو ليڤى ديلافيدا قد وعد بتحقيق كتاب جمهرة الأنساب لابن الكلبى ونشره ولكن لم يتهيأ له ذلك .

(٣) فى ت . حمد .

كنتم ملوك العرب والعَجَم ثم بُعِثْتُم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جِنان كجِنان الأُردن وإن أَنتم لم تفعلوا كان فيكم ذَبْح ، ثم بُعِثْتُم من بعد موتكم فجُعِلَتْ لكم نار تُحْرَقون فيها .

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَخذ حفنةً من تراب فى يده ثم قال : « نعم أَنا أَقول ذلك وأَنت أَحَدُهم » . وأَخذ الله عز وجل على أَبصارهم عنه فلا يَرَوْنَه . فجعل يذرى ذلك التراب على رُءوسهم وهو يتلو هذه الآيات : (يَس وَالْقُرآنِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ » إلى قوله تعالى : (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ[1]) . فلم يَبْقَ منهم رجل إلا وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسه تُرَاباً ، ثم انصرف إلى حيث أَراد أَن يذهب[2] .

فأَتاهم آتٍ مِمَّنْ لم يكن معهم فقال : « ما تنتظرون ههنا ؟ » قالوا : « محمداً » . قال : « خَيَّبَكم الله ، قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أَفَمَا تَرَوْنَ ما بكم ؟ » قال : « فوضع كل رجل منهم يَدَهُ على رأسه فإذا عليه تراب » ، ثم جعلوا يتطلعون فَيَرَوْنَ عَلِيّاً على الفِراش مُتَسَجِّياً ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائماً عليه بُرْدُه . فلم يزالوا كذلك حتى أَصبحوا . فقام عَلِيٌّ رضى الله عنه من الفِراش . فقالوا : « والله لقد صَدَقَنا الذى كان حَدَّثَنَاه » . وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غار ثور .

وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « شَرَى عَلِيٌّ نَفْسَه ولَبِس ثَوْبَ النبى صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه » . وكان المشركون يرجون رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا يرمون عليّاً ويَرَوْنَه النبى صلى الله عليه وسلم ، وجعل عَلِيٌّ يتوضأُ فإذا هو عَلِيّ ، فقالوا : إنك لَلَئِيم ، إنك لتَتَضَوَّر[3] وكان صاحبك لا يَتَضَوَّر وقد استنكرناه منك .

---

(١) سورة يس الآيات ١ : ٩ .

(٢) فى الروض الأنف (ج ١ ص ٢٩٢) : وفى قراءة الآيات الأول من سورة يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام فقد روى الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر فضل يس أنها : إن قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسى أو عاطش سق حتى ذكر خلالا كثيرة .

(٣) فى النهاية (ج ٣ ص ٢٨) : يتضور يتلوى ويتقلب .

٤٠٨ و وروى الحاكم عن على بن الحسين رضى الله عنهما / قال : إن أَوَّل من شَرَى نَفْسَه ابتغاء رِضْوان الله عَلِيٌّ ، وقال فى ذلك شِعْراً :

وَقَيْتُ بنفسى خَيْرَ مَنْ وطئ الحَصَى ... ومَنْ طاف بالبيت العتيق وبالحِجْرِ
رَسُولَ إلهٍ خاف أن يَمْكُروا به ... فَنَجَّاه ذوالطَّوْلِ الإله من المكْرِ[1]
وباتَ رسولُ الله فى الغار آمِناً ... مُوَقًّىً وفى حِفْظِ الإله وفى سَتْرِ
وَبِتُّ أُرَاعِيهم وما يتهمونَنى ... وقد وَطَّنت نفسى على القتل والأَسْرِ

قال ابن إسحق : وكان مما أَنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له : (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ) بالوَثَاق[2] والحَبْس والإثخان بالجَرْح (أَوْ يَقْتُلُوكَ) بسيوفهم (أَوْ يُخْرِجُوكَ) ـ من مكة ـ (ويَمْكُرُونَ) ـ يحتالون فى أَمْرِك ـ (ويَمْكُرُ اللهُ) ـ يجازيهم جزاء مَكْرِهم فسَمَّى الجزاء مَكْراً لأَنه فى مقابلته ، والمعنى أَنهم احتالوا فى إبطالِ أَمْرِ محمد صلى الله عليه وسلم واللهُ تعالى مَنَعَهُ منهم وأَظْهَرَه وقَوَّاه ونَصَره فضاع فِعْلُهم وظَهَر فِعْلُ الله عز وجل ـ (وَاللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ[3]) ـ لأَن مَكْرَه حَقّ ، وإتيان هذا مما يَحْسُن للمزاوجة ولا يجوز إطلاقه ابتداءً لما فيه من إيهام الذَّمّ ، وهذه السورة مدنية ، وهذه الواقعة كانت بمكة قبل أَن يهاجروا إلى المدينة . وقد ذَكَّر اللهُ تعالى النَبِيَّه محمداً صلى الله عليه وسلم نِعْمَتَه عليه .

---

(١) أورد القسطلانى البيت الأول والثانى وزاد عليهما الزرقانى فى شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٢٢) بقوله : وبعدهما فى الشامية ـ أى كتاب سبل الهدى والرشاد للمؤلف ـ وغيرها ، ثم أورد البيتين الثالث والرابع .

(٢) الوثاق بفتح الواو اسم من الإيثاق والوثاق بكسر الواو ما يشد به .

(٣) سورة الأنفال آية ٣٠ . وقال القرطبى (ج ٧ ص ٣٩٧) فى تفسير قوله تعالى : « « والله خير الماكرين » : المكر من الله هو جزاؤهم بالعذاب على مكرهم من حيث لا يشعرون . وقال الزمخشرى (الكشاف ج ١ ص ٣٠٢) : أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب . وفى النهاية (ج ٤ ص ١٠٣) فى حديث الدعاء ؛ اللهم امكر لى ولا تمكر بى . مكر الله إيقاع بلائه بأعدائه دون أوليائه وقيل هو استدراج العبد بالطاعات فيتوهم أنها مقبولة وهى مردودة ، والمعنى : ألحق مكرك بأعدائى وأصل المكر الخداع . وفى التاج : قال الليث : المكر من الله تعالى جزاء سمى باسم مكر المجازى . وقال الراغب : مكر الله إمهاله العبد وتمكينه من أغراض الدنيا . وفى الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ص ٢١٥) أن الكيد والمكر متغايران والشاهد أن الكيد يتعدى بنفسه والمكر يتعدى بحرف فيقال كاده يكيده ومكر به ولا يقال مكره ، والذى يتعدى بنفسه أقوى . ونقل الزبيدى فى التاج عن البصائر أن المكر ضربان : محمود : وهو ما يتحرى به أمر جميل وعلى ذلك قوله تعالى : والله خير الماكرين ، ومذموم : وهو ما يتحرى به فعل ذميم نحو قوله تعالى : « ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله » .

قال ابن إسحق : وأنزل الله تعالى فى ذلك (فَذَكِّرْ) ـ أى دُمْ على تذكير المشركين ولاترجع عنهم لقولهم لك كاهن مجنون (فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ) ـ جزماً ـ (ولاَمَجْنُونٍ) معطوف عليه ـ (أَمْ) ـ بل ـ (يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ) ـ أى حوادث الدَّهْر فيهلك كغيره من الشعراء ـ (قُلْ) ـ لهم ـ (تَرَبَّصُوا) ـ هلاكى ـ (فَإِنِّى مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ[1]) ـ لهلاككم ، فعُذِّبُوا بالسيف يوم بدر ، والتَّربُّص الانتظار .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى ابن جرير وابن المُنْذِر عن عُبَيْد بن عُمَيْر ، وابن جرير من طريق آخر عن المطلب بن أبى وداعة قال : لما ائتمروا بالنبى صلى الله عليه وسلم ليُثْبِتُوه أو يقتلوه أو يُخْرِجوه قال عمه أبو طالب : هل تدرى ما ائتمروا بك ؟ قال : يريدون أن يسجنونى أو يقتلونى أو يُخْرِجونى . قال : مَنْ حَدَّثَكَ بهذا ؟ قال : رَبِّى . قال : نعم الرب ربك إلى آخره . قال فى البداية : ذِكْرُ أبى طالب فيه غريب بل مُنْكَر لأن القصة قبل الهجرة وذلك بعد مَوْت أبى طالب بثلاث سنين .

الثانى : قال السهيلى : إنما قال لهم إبليس إنه من أهل نَجْد لأنهم قالوا : لا يَدْخُلَنّ معكم فى المشاورة أَحَدٌ من أهل تِهَامَة لأن هواهم مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فلذلك تَمَثَّل لهم فى صورة شيخ نجدى وقد تقدم فى بنيان قريش الكعبة أنه تمثل فى صورة شيخ نجدى حين حَكَّموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الركن مَنْ يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يا مَعْشَر قريش ، أقد رضيتم أن يَلِيَه هذا / الغُلاَم دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صَحَّ ٤٠٨ ظ هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجدياً وذلك أن نَجْداً يطلع منها قَرْن الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له : وفى نَجْدِنا يا رسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفِتَن ومنها يطلع قرن الشيطان [فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها[2]] .

الثالث : المانع لهم من التَّقحُّم تلك الليلة على عَلِىّ وهم يظنونه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم لم يزالوا قياماً حتى أصبحوا أن بعض أهل السِّيَر ذكروا السبب المانع من ذلك

---

(١) سورة الطور آية ٢٩ و ٣١ .

(٢) زيادة من السهيلى الذى نقل عنه المؤلف .

مع قِصر الجدار وأنهم إنما جاءوا لِقَتْلِه ، [فذُكِر فى الخَبَر][1] أنهم هَمُّوا بالولوج عليه فصاحت امرأةٌ من الدار ، فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسُّبَّة فى العَرَب أن يُتَحَدَّثَ عَنَّا أنَّا تَسَوَّرنا الحيطان على بنات العَمّ وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنا [فهذا هو الذى أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج][1] وقال بعضهم : « الحكمة فى كون الموضوع على رأسهم تراباً دون غيره الإشارة لهم بأنهم الأرذلون الأصغرون الذين أُرْغِمُوا وأُلْصِقوا بالرغام وهو التراب ، وأنه سيلصقهم بالتراب بعد هذا » .

الرابع : روى ابن مَنْدَه وغيره عن مارية خادم النبى صلى الله عليه وسلم أنها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صَعِد حائطاً ليلة فَرَّ من المشركين ، وما سبق فى القصة من أنه طلع على المشركين من الباب أقوى سَنَداً منه ، وحديث مارية فيه مجاهيل .

الخامس : فى قراءته صلى الله عليه وسلم الآيات من سورة يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداءً به صلى الله عليه وسلم ، وورد فى بعض الآثار : ما قرأها خائف إلا أَمِن .

السادس : فى بيان غريب ما سبق : « مَنَعَة » : سبق بيانها ، « شيخ جليل » : يقال جَلَّ الرجل وجَلَّتْ المرأة إذا أَسَنَّا . « عليه بَتٌّ » : البَتّ[2] بفتح الموحدة وتشديد المثناة الفوقية : الكساء الغليظ المُرَبَّع وقيل الطيلسان من خَزّ . « أَجَلْ » : بفتح الهمزة والجيم وإسكان اللام مُخَفَّفة بمعنى نعَمْ[3] . « أَجْمِعُوا فيه رأياً » بفتح الهمزة وكسر الميم : يقال أجمعت الأَمْرَ وعلى الأَمْرِ إذا عزمت عليه . « أَوْشَكوا » : بفتح الهمزة والشين المعجمة أى أسرعوا . « أَظْهَرْنا » : بيَّنَّا . « أُلْفَتَنا » بضم الهمزة[4] . « أن يَحُلّ » : بفتح أوله وضَمّ الحاء

---

(١) زيادة من السهيلى الذى نقل عنه المؤلف .

(٢) فى التاج البت هو كساء غليظ مهلهل مربع ، أخضر وقيل هو من وبر وصوف قاله فى المحكم ، ومثله فى كفاية المتحفظ وفى التهذيب البت ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ أخضر وجمعه أبت وبتات وبتوت . وفى الصحاح البتى الذى يعمله أو يبيعه ومنه عثمان بن سليمان البتى المحدث كان يبيع البتوت .

(٣) فى الصحاح : أجل هو جواب مثل نعم قال الأخفش إلا أنه أحسن من نعم فى التصديق ونعم أحسن منه فى الاستفهام فإذا قال : أنت سوف تذهب ؟ قلت : أجل ، وكان أحسن من نعم . وإذا قال : أتذهب ؟ قلت نعم وكان أحسن من أجل .

(٤) الألفة المودة والالتئام .

المهملة أى يَنْزِل. « جَلِداً » : بفتح الجيم وكسر اللام أى قوياً[1] . « وَسِطاً »[2] : بفتح الواو وكسر السين والطاء المهملتين أى حسيباً فى قومه . « صارماً » : قاطعاً . « نَعْمِد » بكسر الميم فى المستقبل وفتحها فى الماضى[3] . « العَقْل » كعَقْل الإنسان الدِّيَة[4] . « عَتَمَةُ اللَّيْل » : بفتح العين والمثناة الفوقية وقت صلاة العِشَاء ، وقيل ثلث الليل الأول من الليل بعد غيبوبة الشَّفَق ، وعَتَمة الليل ظلامه . « الحَضْرَمِى » : منسوب إلى حَضْرَمَوْت . « تَابَعْتُمُوهُ » : بمثناة فوقية وموحدة من المُتَابَعة . « بُعِثتم » بالبناء للمفعول . « الجِنان » جمع جَنَّة : البُسْتَان . « الأُرْدُنّ » : بهمزة مضمومة فراء ساكنة فدال مهملة فنون مُشَدَّدَة الكورة المعروفة من أرض الشام بقرب بيت المقدس . « حَفْنَة » : بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء هى ملء الكف والشىء المحصول حُفْنَة بالضم ويجوز الفتح ، والمَرَّة بالفتح ليس غير . « صَدَقَنا » : بفتح الدال المُخَفَّفَة أى حَدَّثَنا حديث صِدْق .

---

(١) فى القاموس المحيط هو جلد (بفتح الجيم وسكون اللام) وجليد والجمع أجلاد وجلداء على وزن فقهاء وجلد على وزن قفل . ولم أعثر على ضبط المؤلف جلد فى المعجمات .

(٢) لم نعثر على هذا الضبط للمؤلف فيما رجعنا إليه . فى التاج : وهو وسيط فيهم أى أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا . قال العرجى . كأنى لم أكن فيهم وسيطا . ولم تلك نسبتى فى آل عمرو . وقال الليث . فلان وسيط الدار والحسب فى قومه .

(٣) لا يوجد فى المعجمات ما يؤيد دعوى المؤلف أن نعمد بكسر الميم فى المستقبل وفتحها فى الماضى . فعمد الشىء يعمده عمدا من باب ضرب أقامه بعماد ودعمه ودعم فلانا ضربه بالعماد . ويقال عمد الشىء والشىء وإليه قصده يعمده ويعمد له ويعمد إليه . وعمد من باب فرح وغضب . وعمد به لزمه وعمد الإنسان إذا جهده المرض . وعمد الثرى بلله المطر فتقبض وتراكب بعضه على بعض .

(٤) العقل هو الدية ، جاء فى النهاية (جـ ٣ ص ١١٧) : أصله أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعلقها بفناء أولياء المقتول أى شدها فى عقلها (جمع عقال) ليسلمها إليهم ويقبضوها منه فسميت الدية عقلا بالمصدر . والعاقلة هى العصبة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قتيل الخطأ وأصلها اسم فاعلة من العقل .

الباب الثالث

فى قَدْر إقامة النَّبىّ صَلَّى الله عليه وسَلَّم بمكة بعد البعثة ورؤياه الأَرض التى يهاجر إليها

روى البخارى وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : مكث رسول الله صلى الله
٤٠٩و الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة / ، والرواية عن ابن عباس[١] فى ذلك مختلفة ، وسيأتى تحريرها فى الوفاة النبوية إن شاء الله تعالى وعن أَبى موسى الأَشعرى[٢] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَأَيْتُ فى المنام أَنِّى أُهاجر من مكة إلى أَرْضٍ بها نَخْلٌ فذهب وَهْلى[٣] إلى أَنها اليمامة أَو هَجَر فإذا هى المدينة يَثْرِب » ، رواه الشيخان وعن صُهَيْب رضى الله عنه أَنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُرِيتُ دارَ هجرتكم سبخة بين ظَهْرَانَىْ حَرَّتَيْن فإما أَن تكون هَجَراً أَو يَثْرِب » ، رواه الترمذى والحاكم والطبرانى .

وروى الإمام أَحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه عن عبد الله بن عدى بن الحمراء[٤] رضى الله عنه ، والإمام أَحمد والنسائى عن أَبى هريرة، قال الحافظ[٥] : وذِكْرُه وَهْم وإنما هو

---

(١) لفظ الحديث فى البخارى فى باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم (ج ٥ ص ١٥٣) : عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين ومات وهو ابن ثلاث وستين .

(٢ ، ٣) الحديث فى البخارى (ج ٥ ص ١٥١) وفى النهاية (ج ٤ ص ٢٣٤) : وهل إلى الشىء بالفتح يهل بالكسر وهلا بالسكون إذاً ذهب وهمه إليه ، ومنه حديث عائشة : وهل ابن عمر أى ذهب وهمه : أما الوهل بالتحريك فهو الفزع وقد وهل يوهل فهو واهل ، والوهلة المرة من الفزع فلقيته أول وهلة أى لقيته أول فزعة فزعتها بلقاء إنسان .

(٤) هو عبد الله بن عدى بن الحمراء القرشى الزهرى من أنفسهم ، وقيل أنه ثقفى حليف لهم ، يكنى أبا عمرو وله صحبة وهو من أهل الحجاز كان ينزل بين قديد وعسفان انظر أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٢٥) .

(٥) قال الحافظ أى ابن حجر ، وذكره وهم أى إسناده إلى أبى هريرة وهم . وجاء فى الإصابة (ج ٤ ص ١٠٥) فى ترجمة ابن حجر لابن الحمراء : ويقال إنه عقبى وقال البخارى له صحبة وهو من مسلمة الفتح ، روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل مكة قلت (أى ابن حجر) انفرد برواية حديثه الزهرى واختلف عليه فيه فقال الأكثر عنه عن أبى سلمة عن عبد الله بن عدى بن الحمراء ، وقال معمر فيه عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة ومرة أرسله . . . والمحفوظ الأول . وفى خلاصة الخزرجى (ص ١٧٥) أنه صحابى روى عنه أبو سلمة ومحمد بن جبير بن مطعم .

عبد الله بن عَدِى ، والحاكم وابن جميع عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقَفَ على الحَزْوَرَة[1] فقال : « والله إنك لَخَيْرُ أَرْضِ الله ، وأَحَبُّ أَرْضٍ إلَىّ ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت منك » .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال ابن التين[2] : أُرِى النبى صلى الله عليه وسلم أولاً دار هجرته بصفة تجمع المدينة وغَيْرَها ، ثم أُرِىَ الصفة المختصة بالمدينة فَتَعَيَّنَتْ . الثانى : حديث أبى هريرة مرفوعاً : « اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع إلَىّ فأَسْكِنِّى فى أَحَبّ البقاع إليك » ، رواه الحاكم ، وقال الذهبى إنه موضوع ، وقال ابن عبد البَرّ : لا يختلف أهل العلم أنه مُنْكَر موضوع . الثالث : فى بيان غريب ما سبق : « وَهَلى[3] » : بفتح أوله وثانيه أى ظَنِّى ، يقال وَهَل يَهِل وَهْلاً بالسكون إذا ظَنَّ شيئًا فتبينَّ الأمر خلافه . « اليَمَامة[4] » : مدينة على يومين من الطائف وأربعة من مكة . « هَجَر » : بفتح أوله وثانيه وهى هنا مدينة باليمن ، وهى قاعدة البحرين[5] وهى من مساكن عبد القيس ، وقد سبقوا غيرهم من

(١) قال البكرى فى معجم ما استعجم (ج ٢ ص ٤٤٤) : الحزورة موضع بمكة يلى البيت وفيه دفن عبد الرحمن ابن عثمان بن عبيد الله ابن أخى طلحة بن عبيد الله وكان قتل مع ابن الزبير ، فلما زيد فى المسجد الحرام دخل قبره فى المسجد . وروى الزهرى قال : أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن عبد الله بن عدى بن حمراء أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو واقف بالحزورة فى سوق مكة : الحديث . وهذا من الأحاديث الصحاح التى خرجها الدارقطنى وذكر أن البخارى ومسلم أغفلا تخريجه فى كتابيهما على ما شرطاه . وهذا الحديث من أقوى ما يحتج به الشافعى فى تفضيل مكة على المدينة . وقال الدارقطنى : والمحدثون يقولون الحزورة بالتشديد وهو تصحيف إنما هو الحزورة بالتخفيف .

(٢) هو أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسى الإمام المحدث الرواية المفسر الفقيه له شرح على البخارى سماه : المخبر الفصيح فى شرح البخارى الصحيح اعتمده ابن حجر فى شرح البخارى ، توفى سنة ٦١١ هـ بصفاقس ، انظر ترجمته فى شجرة النور الزكية فى طبقات المالكية لمحمد بن مخلوف (القاهرة سنة ١٣٤٩ هـ ج ١ ص ١٦٨ رقم ٥٢٨) . هذا وكثيراً ما يشير إلى ابن التين كل من ابن خلدون فى المقدمة والسيوطى فى الإتقان والزرقانى فى شرحه على المواهب .

(٣) هذا الضبط من المؤلف لكلمة وهلى بفتح الهاء يتناقض مع ما ذكره فيما بعد وهو بتسكينها . وقد أشرنا فى حاشية سابقة إلى ضبط ابن الأثير لها فى النهاية وهو أن الوهل بالفتح الفزع والوهل بتسكين الهاء الوهم ، والظن .

(٤) اليمامة فى معجم البلدان لياقوت (ج ٨ ص ٥١٦) معدودة من نجد بينها وبين البحرين عشرة أيام . وفى كتاب البلدان لابن الفقيه (طبعة ليدن سنة ١٨٨٥ م ص ٢٨) إن أول ديار ربيعة باليمامة واليمامة لبنى حنيفة والبحرين لعبد القيس والجزيرة لبنى تغلب وعيون اليمامة كثيرة .

(٥) يخلط المؤلف هنا بين هجر اليمن وهجر البحرين فى معجم البلدان لياقوت (ج ٨ ص ٤٤٦) : هجر قصبة بلاد البحرين بينها وبين سرين سبعة أيام ، وهجر بلد باليمن بينه وبين عثر يوم وليلة من جهة اليمن . وذكر الهمدانى المعروف بابن الحائك والمتوفى سنة ٣٣٤ هـ فى كتابه صفة جزيرة العرب (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٣ م ص ٨٦) : أن الهجر بلغة حمير القرية ومنها هجر البحرين وهجر نجران . وقال فى ص ١٣٦ : إن مدينة البحرين العظمى هى هجر وهى سوق بنى مجاريب من عبد القيس .

القُرى إلى الإسلام[1] ، يُذَكَّر ويُؤَنَّث ، قال الجوهرى مُذَكَّر مصروف[2] . « أَرْضٌ سَبِخة » : بفتح السين المهملة وكسر الموحدة وتُسَكَّن وتُفْتَح ، أى مالحة . « ظَهْرَانَىْ حَرَّتَيْن » : أى بينهما والحَرَّتَان تثنية حَرَّة وهى أرض ذات حجارة سود . « الحَزْوَرَة » : بحاء مفتوحة فزاى ساكنة فواو فراء ، سوق كانت بمكة أُدْخِلَتْ فى المسجد .

---

(١) مما يدل على سبق عبد القيس إلى الإسلام ما ورد فى كتب السيرة وفى صحيح البخارى (جـ ١ ص ٣٦) مسنداً إلى ابن عباس عن قدوم وفدهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقولهم له : يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا فى شهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر فرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة .

(٢) فى الصحاح : هجر اسم بلد معروف ولكن الفيروزابادى أشار إلى أنه يمنع أيضاً من الصرف . فقد قال : هجر محركة باليمن مذكر مصروف وقد يؤنث ويمنع (أى يمنع من الصرف) .

الباب الرابع

فى هِجْرة رسول الله صلى الله عليه وسَلَّم بنفسه الكريمة
وما وقع فى ذلك من الآيات

قال الله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً[1]) . روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم والضياء وصَحَّحُوه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأُمِر بالهجرة من مكة وأُنْزِل عليه (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ) الهجرة إلى المدينة (وَاجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً) / : كتاب الله عز وجل ، وفرائضه وحدوده . وروى الحاكم ٤٠٩ ظ
وصَحَّحَه عن قتادة فى الآية قال : (أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صدق) [يعنى المدينة[2]] « وأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صدق » يعنى مكة . وروى الزبير بن بَكَّار عن زيد بن أَسْلَم فى الآية قال : جعل الله تعالى مُدْخَلَ صِدْق المدينة ومُخْرَجَ صِدْق مكة ، وسلطاناً نصيراً الأنصار .

قال ابن سعد : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من بيته أتى بيت أبى بكر

---

(١) سورة الإسراء آية ٨٠ . وقال الواحدى فى سبب نزولها (ص ٢٢٠) فى روايته عن الحسن أنه قال إن كفار قريش لما أرادوا أن يوثقوا النبى صلى الله عليه وسلم ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكة وأمر نبيه أن يخرج مهاجراً إلى المدينة . ومما فسره به القرطبى (ج ١٠ ص ٣١٣): علمه ما يدعو به فى صلاته وغيرها من إخراجه من بين المشركين وإدخاله موضع الأمن فأخرجه من مكة وصيره إلى المدينة . وهذا المعنى رواه الترمذى عن ابن عباس وقال هذا حديث حسن صحيح . وقال الضحاك هو خروجه من مكة ودخوله مكة يوم الفتح آمنا . وروى ابن كثير فى تفسيره (ج ٣ ص ٥٩) ما قاله قتادة فيها وهو أن نبى الله صلى الله عليه وسلم علم أن لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان فسأل سلطاناً نصيراً لكتاب الله ولحدود الله ولفرائض الله ولإقامة دين الله . وقال الزمخشرى فى الكشاف (ج ١ ص ٤٦١) : قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر . . . وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة وقيل إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح وإخراجه منها آمناً من المشركين وقيل إدخاله الغار وإخراجه منه سالماً وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤدياً لما كلفه من غير تفريط ، وقيل الطاعة ، وقيل هو عام فى كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان . وسلطاناً أى حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكاً وعزاً قوياً ناصراً للإسلام على الكفرة .

(٢) زيادة من تفسير ابن كثير (ج ٣ ص ٥٩) .

بمكة فكان فيه إلى الليل ، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه[1] » . وروى موسى بن عُقْبَة وابن إسحق والإمام أحمد والبخارى وابن حِبَّان عن عائشة رضى الله عنها ، وابن إسحق والطبرانى عن أُختها أسماء رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه استأْذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج قِبَل المدينة[2] ، فقال [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رِسْلِك فإنى أرجو أن يُؤْذَن لى » . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى وأمى أنت ؟ قال : « نعم » . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَصْحَبَهُ وعَلَفَ راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُر[3] ، وهو الخَبَط[4] أربعة أشهر .

[قال ابن شِهاب أخبرنى عُرْوَة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت[5] :] « لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طَرَفَىْ النهار بُكْرَةً وعَشِيَّةً » . قالت : « فبينما نحن [يوماً] جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى نَحْر[6] الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعاً[7] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها » . فقال أبو بكر : « فِدَاءٌ له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أَمْرٌ » . قالت : « فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأْذن فأُذِن له فدخل ، فَتَأَخَّر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال أبو بكر : « يا رسول الله ما جاء بك إلا أَمْرٌ حَدَث » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « أَخْرِج مَنْ عندك » . فقال أبو بكر : لا عَيْنَ عليكَ إنما هما ابْنَتَاى ، وفى لفظ أَهْلُك . قال : « إن الله قد أَذِن لى فى الخروج والهجرة » . فقال أبو بكر :

---

(١) أضاف بن سعد : وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الغار ، فقال بعضهم : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد فانصرفوا ، انظر طبقات ابن سعد (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٨هـ جـ ١ ص ٢١٣) .

(٢) لفظ البخارى (جـ ٥ ص ١٥٦) : وتجهز أبو بكر قبل المدينة .

(٣) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٨١) : السمر هو ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة ومنه الحديث : يا أصحاب السمرة وهى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٤) فى النهاية (جـ ١ ص ٢٨٠) : الخبط ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط خبط بالتحريك فعل بمعنى مفعول وهو من علف الإبل .

(٥) زيادة فى إسناد الحديث من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٤) .

(٦) فى النهاية (جـ ٤ ص ١٣١) : فى حديث الهجرة : نحر الظهيرة هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو الصدر .

(٧) متقنعاً أى مغطياً رأسه ، وتقنع مطاوع قنع . وفى النهاية مقنع بالحديد أى المتغطى بالسلاح .

« الصحْبَة يا رسول الله » . قال : « نعم » . قالت عائشة : « فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكى من الفَرَح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذٍ » .

قال أبو بكر : « يا رسول الله خُذْ إحدى راحِلَتَىَّ هاتَيْن » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بالثَّمَن ، لا أركب بعيراً ليس هو لى » . قال : فهو لك . قال : « لا ولكن بالثمن الذى ابْتَعْتَها به » . قال « أخذتُها بكذ وكذا » . قال : « أخذتُها بذلك » . قال : هى لك . وعند البخارى فى غزوة الرجيع أنها الجَدْعاء[1] ، وأفاد الواقدى أن الثمن ثمانمائة . واستأْجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيل [وهو من بنى عَبْد ابن عَدِىّ[2]] هادياً خِرِّيتاً - والخِرِّيت الماهر بالهداية - [قد غَمَس حِلْفاً فى آل العاص ابن وائل السَّهْمِى[2]] وهو على دين كُفَّار قريش - وأسلم بعد ذلك - فأَمِناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث [ليال[2]] براحلتيهما [صبح ثلاث[2]] .

قالت عائشة : فَجَهَّزناهما أَحَثَّ الجِهَاز[3] وصنعنا لهما سُفْرَة فى جِراب . وأفاد الواقدى أنه كان فى السُّفْرَة شاة مطبوخة . قالت عائشة : فشَقَّتْ أسماء بنت أبى بكر قِطْعَةً من نطاقِها - وفى لفظ قطعت نِطَاقَها فطعتَيْن فأَوْكَت[4] بقطعة منه الجِراب وشَدَّت فم القِرْبَة بالباق فسُمِّيَتْ ذات النطاق وفى لفظ النِّطَاقَيْن . وعند البلاذُرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) لفظ البخارى (جـ ٥ ص ٢٣٤) فى باب غزوة الرجيع عن عائشة رضى الله عنها . قال أبو بكر : يا رسول الله عندى ناقتان قد كنت أعددتهما للخروج . فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم إحداهما وهى الجدعاء . وفى شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٢٧) : وأفاد الواقدى أن الثمن ثمانمائة درهم وأن التى أخذها النبى صلى الله عليه وسلم هى القصواء وكانت من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت فى خلافة أبى بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع . وذكر ابن إسحق أنها الجدعاء وكانت من إبل بنى الحريش وكذا فى رواية ابن حبان عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها الجدعاء ذكره فى فتح البارى .

(٢) زيادة من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٧) .

(٣) فى الأصول : أحب الجهاز وهو موافق لما فى ابن سعد (جـ ١ ص ٢١٤) وآثرنا إثبات رواية البخارى وفى شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٢٧) : فجهزناهما أحث بمهملة ومثلثة أسرع وفى رواية بموحدة والأولى أصح ، الجهاز قال الحافظ بفتح الجيم وتكسر ومنهم من أنكره وهو ما يحتاج إليه فى السفر . وقال فى النور بكسر الجيم أفصح من فتحها بل لحن من فتح . والذى فى الصحاح : وأما جهاز العروس والسفر فيفتح ويكسر .

(٤) لفظ ابن سعد (جـ ١ ص ٢١٤) : فأوكت به الجراب وقطعت أخرى فصيرته عصاماً لفم القربة . وفى النهاية (جـ ٤ ص ٢٢٩) أوكوا الأسقية أى شدوا رءوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شىء يقال أوكيت السقاء أوكيه إيكاء فهو موكى . والعصام رباط وجمعه عصم .

قال : « إن لها نِطاقَيْن فى الجَنَّة » فسميت ذات النطاقين [1] .

قال ابن إسحق : « وأَعْلَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلِيّاً بخروجه وأمره أن يتخلف
٤١٠ و بعده [بمكة] حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس / وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته » . قالت عائشة : « ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بغارٍ فى جبل ثَوْر » . وفى حديث عُمَر عند البيهقى أنهما خرجا ليلاً . وذكر ابن إسحق والواقدى أنهما خرجا من خَوْخَة فى ظَهْر بيت أبى بكر . وروى أبو نُعَيْم عن عائشة بنت قُدَامة[2] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد خرجت من الخَوْخَة متنكراً فكان أول من لقينى أبو جهل فأَعْمَى الله عز وجل بَصَرَه عَنِّى وعن أبى بكر حتى مَضَيْنَا » . قالت أسماء : « وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف دِرْهَم » . قال البَلاَذُرِى : « وكان مال أبى بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم ، فخرج إلى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة ، فبعث ابْنَه عبد الله فحملها إلى الغار » . قالت : « فدَخَل علينا جَدِّى أبو قُحَافة وقد ذهب بَصَرُه فقال : « والله إنى لأَراه قد فَجَعَكُم بماله مع نفسه » . قالت : « قلت : كَلاَّ يا أَبَت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً » . قالت : « فَأَخَذْتُ أحجاراً فَوَضَعْتُها فى كُوَّةٍ فى البيت ، كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعتُ عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلتُ : يا أبت ضَعْ يَدَك على هذا المال . قالت : فوضع يَدَه عليه . فقال : لا بأْس إن كان ترك لكم هذا فقد أَحْسَنَ ، وفى هذا بَلاَغٌ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنى أردت أن أُسَكِّن الشيخ [بذلك[3]] » .

وفى حديث عند البيهقى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، جعل أبو بكر يمشى مَرَّةً أمام النبى صلى الله عليه وسلم ، ومرةً خَلْفَه

---

(١) بالتثنية هى رواية الكشميهنى ورواية غيره النطاق بالإفراد قال ابن حجر : النطاق ما يشد به الوسط وقيل هو إزار فيه تكة وقيل ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل قاله أبو عبيد الهروى قال : وسميت ذات النطاقين لأنها كانت تجعل نطاقاً على نطاق . وقيل كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد قال ابن حجر : والمحفوظ فى البخارى أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالتثنية والإفراد بهذين الاعتبارين — عن الزرقانى فى شرح المواهب جـ ١ ص ٣٢٨ .

(٢) هى عائشة بنت قدامة بن مظعون القرشية الجمحية كانت هى وأمها رائطة بنت سفيان الخزاعية من المبايعات ، انظر أسد الغابة جـ ٥ ص ٥٠٥ والإصابة جـ ٨ ص ١٤٢ رقم ٧٠٨ .

(٣) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ١٠٢ .

ومرةً عن يمينه ومرةً عن شِمَاله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « يا رسول الله أَذْكُرُ الرَّصَدَ[1] فأكون أَمَامَك وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ فأكون خَلْفَك ، ومرةً عن يمينك ومرةً عن يسارك لآمن عليك ، فلما انتهينا إلى فم الغار قال أبو بكر : والذى بعثك بالحق لا تَدْخُلْهُ حتى أَدْخُلَه قبلك ، فإن كان فيه شيء نزل بى قبلك » . فدخله فجعل يلتمس بيده ، فجعل كلما دَخَل جُحْراً قام إلى ثوبه فشَقَّهُ ثم أَلْقَمَه الجُحْر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع : فبقى جُحْر » فوضع عَقِبَيه عليه ، ثم دَخَل رسول الله صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَتْ الْحَيَّات يَلْسَعْنَ أبا بكر رضى الله عنه وجعلت دموعه تنحدر .

وروى ابن أبى شيبة وابن المنذر عن أبى بكر أنهما لما انتهيا إلى الغار إذا جُحْر فألقمه أبو بكر رجليه . قال : « يا رسول الله إن كان لَدْغَة أو لسعة كانت بى » . وروى ابن مَرْدَوِيه عن جُنْدَب بن سُفْيَان[2] قال : « لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار قال أبو بكر : يا رسول الله لا تدخل الغار حتى أَسْتَبْرِئَه . فدخل أبو بكر الغار فأصاب يَدَه شيءٌ فجعل يمسح الدم عن إصبعه ويقول

هل أنت إلا إِصْبَعٌ دَمِيت وفى سبيل الله مالَقِيت[3]

وفى حديث أنس عند أبى نُعَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح قال لأبى بكر « أَيْنَ ثَوْبُك ؟ » فأخبره بالذى صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَيْه فقال : « اللهم اجْعَلَ أبا بكر معى فى دَرَجَتِى فى الجنة » . فأوحى الله إليه : « قد استجاب الله لك » . وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم والبيهقى وابن عساكر عن أبى مُصْعَب المكى قال : « أدركتُ أنس بن مالك ، وزيد بن أَرْقَم ، والمُغِيرة بن شُعْبَة يتحدثون أن النبى صلى

---

(١) الرصد — محركة — القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ، وربما قالوا أرصاد .

(٢) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلى أبو عبد الله ، وقد ينسب إلى جده فيقال جندب بن سفيان ، سكن الكوفة ثم البصرة قدمها مع مصعب بن الزبير ، وروى عنه أهل المصرين ، وروى عنه من أهل الشام شهر بن حوشب فقال حدثنى جندب بن سفيان . قال ابن السكن : وأهل البصرة يقولون جندب بن عبد الله ، وأهل الكوفة يقولون جندب ابن سفيان ، غير شريك وحده ويقال له جندب الخير وأنكره ابن الكلبى . وقال البغوى يقال له جندب الخير وجندب الفاروق . . . وقال ابن حبان هو جندب بن عبد الله بن سفيان . . انظر الإصابة ج ١ ص ٢٦٠ رقم ١٢٢٠ .

(٣) ذكر الواقدى وابن هشام أن هذا البيت للوليد بن الوليد بن المغيرة الصحابى لما رجع فى صلح الحديبية إلى المدينة وعثر بحجرتها فانقطعت إصبعه . انظر الزرقانى على المواهب ج ١ ص ٣٣٦ .

الله عليه وسلم ليلةَ الغار أَمَرَ شجرةً – وفى رواية عند قاسم بن ثابت[1] : أَنبت الله شجرة الرَّاءة[2] ، فنبتت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسترته ، وبعث الله العنكبوت فنَسَجَتْ ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا فى فَمِ الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن بِعِصِيِّهم وهَراويهم[3] وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم على أربعين ذراعاً ، جعل بعضهم ينظر فى الغار فلم يَرَ إلا حمامتين وحشيتين بفَمِ الغار ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا له : مالك ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين فعرفتُ أنه ليس فيه أحد . فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال : فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فبارك عليهما النبى صلى الله عليه وسلم وفرض جزاءهن وانحدرتا فى الحَرَم فَأَفْرَخَ ذلك الزوج كل شىء فى الحَرَم[4] . وروى الإمام أحمد بسَنَدٍ حَسَن عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن المشركين قَصُّوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغوا الجَبَل اختلط عليهم ، فصعدوا الجَبَل فَمرُّوا بالغار فَرَأَوْا على بابه نسيج العنكبوت ، فمكث فيه ثلاثة أيام .

---

(١) هو قاسم بن ثابت بن حزم العوفى السرقسطى يكنى أبا محمد رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائى وسمع بمكة وعنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه وأدخلا الأندلس علماً كثيراً . وألف قاسم كتاباً فى شرح الحديث سماه كتاب الدلائل بلغ فيه الغاية من الإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده . وكان قاسم عالماً بالحديث والفقه متقدماً فى معرفة الغريب والنحو والشعر وكان ورعاً ناسكاً وأبى أن يلى القضاء ، توفى فى سرقسطة سنة ٣٠٢ هـ . أنظر تاريخ العلماء والرواة بالأندلس لابن الفرضى (جـ ١ ص ٤٠٢ : ٤٠٣ رقم ١٠٦٢) . هذا وقد ترجم له الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٣١) ترجمة مختصرة قال فيها بأنه توفى ٣٦٠ هـ . والأصوب ما ذكره ابن الفرضى حيث قال إنه ولد سنة ٢٥٥ هـ . أما عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت فقد أشار إليه الزرقانى بأن مؤلفه شرح فيه ما أغفله أبو عبيد القاسم ابن سلام وابن قتيبة من غريب الحديث .

(٢) فى القاموس المحيط : أرواً المكان كثر به الراء وقال الزبيدى فى التاج : الراءة شجيرة ترتفع على ساق ثم يرتفع لها ورق مدور وقيل إنها شجيرة جبلية لها زهرة بيضاء كأنها قطن أو نوع من شجر الطلح ، وجمع الراءة الراء . وقال السهيلى (جـ ٢ ص ٤) إن قاسم بن ثابت ذكر فى الدلائل فيما شرح من غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهى شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار وقال أبو حنيفة (يقصد السهيلى أبا حنيفة الدينورى وكان عشاباً) : الراءة من أغلاث الشجر وتكون مثل قامة الإنسان ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه .

(٣) فى الصحاح الهراوة العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الواو . وفى شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٣٢) : قال البرهان كان ينبغى أن يكتب بالألف وينطق بها فيقال : هراواهم أو أنه يقال : هراوى وهراوى – بفتح الواو وكسرها – كصحارى وصحارى – بفتح الراء وكسرها .

(٤) فى الزرقانى على المواهب أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقاً لما حصل بها الحماية جوزيا بالنسل وحمايته فى الحرم فلا يتعرض له ، وفى المثل : آمن من حمام الحرم .

وروى الحافظ أبو بكر أحمد بن سعيد القاضى شيخ النسائى فى مسند الصديق عن الحسن البصرى قال : « جاءت قريش يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رَأَوْا على باب الغار نَسْجَ العنكبوت[1] قالوا : لم يدخله أحد . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى وأبو بكر يرتقب . فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء قومك يطلبونك ، أمَا والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تخف إن الله معنا » وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : « قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار . لو أن أحدهم نَظَرَ إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه[2] » فقال : « ما ظَنُّك باثنَيْن الله ثالثهما » . وروى أبو نعيم فى الحِلْيَة عن عطاء بن ميسرة قال : « نَسَجَتْ العنكبوت مَرَّتَيْن مَرَّةً على داود حين كان طالوت يطلبه ومرة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار » .

وذكر البلاذرى فى تاريخه وأبو سعيد فى الشرف أن المشركين استأجروا رجلاً يقال له عَلْقمة بن كُرْز بن هلال الخزاعى ـ وأسلم عام الفتح ـ فقفا لهم الأثر حتى انتهى إلى غار ثور[3] وهو بأسفل مكة فقال : ههنا انقطع أثره ولا أدرى أخذ يميناً أم شِمالاً أم صعد الجبل . فلما انتهوا إلى فم الغار قال أمية بن خَلَف : ما أَرَبُكُم فى الغار ؟ إن عليه لعنكبوتاً كان قبل ميلاد محمد . ثم جاء فبال .

وروى البيهقى عن عروة أن المشركين لما فقدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رَكِبُوا فى كل وجه يطلبونه وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم به ويجعلون لهم الجُعْل العظيم وأتوا على ثور الجبل الذى فيه الغار الذى فيه النبى صلى الله عليه وسلم حتى طلعوا فوقه ، وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أصواتهم ، فأشفق أبو بكر وبكى وأقبل عليه الهَمّ والحزن والخوف ، فعند ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لَا تَحْزَنْ إنَّ

---

(١) من بليغ الأبيات التى قيلت فى هذا الصدد :

والعنكبوت أجادت حوك حلتها ... فما تخال خلال النسج من خلل

(٢) العبارة هنا بها تكرار ، وهى كما أوردها ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ٢٠٩) : لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا .

(٣) فى معجم البكرى جـ ١ ص ٣٤٨ : هو ثور أطحل وهو جبل مكة الذى فيه غار النبى صلى الله عليه وسلم . وروى الحربى من طريق التيمى عن أبيه عن على قال : حرم النبى صلى الله عليه وسلم ما بين عير إلى ثور .

اللهَ مَعَنَا[1]) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت السكينة من الله تعالى . وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى وابن عساكر عن ابن عباس فى قوله تعالى : (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ)[1] ، قال : على أبي بكر لأن/ النبي صلى الله عليه وسلم لم تزل السكينةُ معه[1] ٤١١ و

وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما أن أبا بكرٍ رأى رجلاً مواجهاً الغار فقال : « يا رسول الله إنه يرانا » . « قال كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها » . فلم ينشَب أن قعد يبول مستقبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لو كان يراك ما فعَل هذا » .

ويرحم الله الشَّرَف البوصيرى[2] حيث قال :

وَيْحَ قومٍ جَفَوْا نَبِيّاً بأَرْضٍ ... أَلِفَتْهُ ضِبـــابُها والظِّبَاءُ

وسَلَوْهُ وحَـــنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ ... وقَلَـــوْهُ وَرَدَّهُ الغُـــرَبَاءُ

أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وآوَاهُ غَـــارٌ ... وحَمَتْـــــهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ

وكَفَتْهُ بِنَسْجِهَـــا عَنْكَبُوتٌ ... ما كَفَتْهُ الحَمَامَةُ الحَصْداءُ[3]

---

(١) هذا من الآية الأربعين من سورة التوبة وتمامها : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » وأخرج البخارى فى تفسيرها (ج ٦ ص ١٢٦) حديثاً رواه أنس عن أبي بكر أنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار فرأيت آثار المشركين قلت : يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا قال: « ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وروى فى تفسير : « فأنزل الله سكينته عليه » أى على أبي بكر بتأمين النبى صلى الله عليه وسلم له فسكن جأشه وذهب روعه (تفسير القرطبى ج ٨ ص ١٤٨) .

(٢) فى الأصول : الأبوصيرى وأثبتنا الاسم الذى اشتهر به صاحب البردة . وعلق الزرقانى فى شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٣٠) على هذه النسبة لبلدة بوصير قائلا : لو سلم أن القرية بلفظ الكنية فإنما يقال فى النسبة « صيرى » بحذف الجزء الأول كما يقال بكرى فى النسبة إلى أبي بكر إذ لا ينسب إلى الاسمين معاً المضاف والمضاف إليه لأن إعراب أولهما بحسب العوامل والثانى مخفوض بالإضافة. غير أن هذا لا يصح لأن بو أو أبو أساسية فى الكلمة . قال محمد رمزى فى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ق ٢ ج ٢ ص ٦٩ القاهرة سنة ١٩٥٨ . وبناء على ذلك يجب أن يلاحظ أن كلمة أبو التى فى أول اسم بوصير هى جزء من الاسم لا يجوز أن تتغير بما يدخل عليها من عوامل الإعراب كما يفعل بعض الكتاب الذين لا يعرفون أصل هذا الاسم .

(٣) يقال شجرة حصداء أى كثيرة الورق فكأنه استعارة للحمامة لكثرة ريشها .

وحيث قال :

أَقْسَمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ أن له ... من قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ
وما حَوَى الغارمن خَيْرٍ ومن كَرَمٍ ... وكلُّ طَرْف من الكُفَّارِ عنه عَمِ
فالصِّدْقُ فى الغار والصِّدِّيقُ لم يَرِدَا ... وهم يقولون ما بالغار من أَرِمِ[1]
ظَنُّوا الحَمَامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ على ... خير البَرِيَّةِ لم تَنْسِجْ وَلَمْ تَحُمِ
وِقَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عن مُضَاعَفَةٍ ... من الدُّرُوعِ وعن عالٍ من الأُطُمِ

لطيفة : سئل بعضهم عن الحكمة فى اختفائه صلى الله عليه وسلم فى غار ثَوْر دون غيره فأُجِيب بأنه صلى الله عليه وسلم كان يحب الفَأْلَ الحَسَن ، وقد قيل إن الأرض مستقرةٌ على قرن الثَّوْر فناسب استقراره صلى الله عليه وسلم فى غار ثَوْر تفاؤلاً بالطُمَأْنِينَة والاستقرار فيما يقصده هو ورفيقه .

وروى ابن عَدِىّ وابن عساكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحَسَّان : « هل قلت فى أبى بكر شيئاً ؟ » قال : نعم . قال : « قُلْ وأنا أسمع » ، فقال :

والثانِىَ اثْنَيْنِ فى الغارِ المُنِيفِ وقد ... طاف العَدُوُّ به إذ صَعَّدَ الجَبَلَا[2]
وكان حِبَّ رَسُولِ اللهِ قد عَلِمُوا ... من البَرِيَّةِ لم يَعْدِلْ به رَجُلَا[3]

فضَحِكَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه / ثم قال: « صَدَقْتَ يا حَسَّان هو كما قلت . ٤١١ ظ

قالت عائشة رضى الله عنها : « فكَمَنا فى الغار ثلاثَ ليال وكان عبد الله بن أبى بكر يبيت عندهما ، وهو غلام ثَقِفٌ لَقِنٌ[4] ، فيُدْلِج من عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش

---

(١) الأرم والإرم ككتف وعنب حجارة أو نحوها تنصب فى المفازة ليهتدى بها .

(٢) وقبله :

إذا تذكرت شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالى الثانى المحمود شيمته ... وأول الناس طراً صدق الرسلا

(٣) وبعده : خير البرية أتقاها وأرأفها بعد النبى وأوفاها بما حملا – أنظر ديوان حسان (القاهرة سنة ١٩٢٩ ص ٢٩٩ : ٣٠٠) .

(٤) فى النهاية (جـ ١ ص ١٣١) فى حديث الهجرة وهو غلام لقن ثقف أى ذو فطنة وذكاء ، ورجل ثقف وثقف وثقف – بكسر القاف وضمها وتسكينها – والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه . وعند الزرقانى لقن أى سريع الفهم .

[بمكة كبائت][1] ، فلا يَسْمَع بأَمْرٍ يُكَادان به[2] إلا وعاه حتى يأْتيهما بخَبَر ذلك حين يختلط الظلام . وعند ابن إسحق أن أسماء بنت أبى بكر كانت تأتيهما إذا أمست بما يُصْلِحُهما من الطعام . وكان عامر بن فُهَيْرة يَرْعَى غَنَماً لأَبى بكر فى رُعْيَان[3] أهل مكة فإذا أَمْسَى يُرِيحُهما عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء ، فَيَبِيتَان فى رِسْل [وهو لَبَن مِنْحَتِهما[4]] ورَضِيفهما[5] [حتى يَنْعَق بها عامر بن فُهَيْرَة بِغَلَس[4]] ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

فلما مضت الثلاث وسَكَنَ عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأْجراه فَرَكِبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدِّيلى . وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه ليخدمهما فى الطريق ـ وعند البخارى[6] فى غزوة الرَّجِيع كان عامر بن فُهَيْرَة غلاماً لعبد الله بن الطُّفَيْل بن سَخْبَرَة[7] أخو عائشة لأُمها[8] ـ وأخذ بهما الدليل طريق الساحل أسفل من عُسْفَان[9] ثم أجاز بهما حتى عادا من الطريق على أَمَج[10] .

وروى أبو نُعَيْم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحق قال : « بلغنى أن

---

(١) زيادة من صحيح البخارى (ج ٥ ص ١٥٧) .

(٢) هذه رواية الكشميهنى ورواية غيره : يكتادانه أى يطلب لهما فيه الغوائل .

(٣) فى الصحاح الراعى جمعه رعاة مثل قاض وقضاة ورعيان مثل شاب وشبان ورعاء مثل جائع وجياع .

(٤) زيادة من البخارى ، والمنحة من لبن أى غنم فيها لبن . والرسل كما فى الصحاح اللبن وقد أرسل القوم أى صار اللبن فى مواشيهم .

(٥) فى النهاية (ج ٢ ص ٨٥) فى حديث الهجرة : فيبيتان فى رسلهما ورضيفهما . الرضيف (بالضاد المعجمة بزنة رغيف وهى مصحفة بالصاد المهملة فى طبعة المنيرية للبخارى) هو اللبن المرضوف وهو الذى طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه .

(٦) صحيح البخارى ج ٥ ص ٢٣٤.

(٧) السخبرة فى اللغة ضرب من النبت يشبه الإذخر كما جاء فى الاشتقاق لابن دريد طبعة القاهرة سنة ١٩٥٨ م ص ٥٦٤ .

(٨) أمهما أم رومان بنت عمير بن عامر من بنى كنانة .

(٩) عسفان كما فى معجم البلدان لياقوت (ج ٦ ص ١٧٤) منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة وهى على مرحلتين من مكة وقيل على ستة وثلاثين ميلا منها وهى حد تهامة .

(١٠) أمج بلد من أعراض المدينة كما فى معجم ياقوت (ج ١ ص ٣٣٠) ، وفى معجم البكرى (ج ١ ص ١٩٠) قرية جامعة بها سوق وهى كثيرة المزارع والنخل وهى على ساية وساية ، واد عظيم وأهل أمج خزاعة . ومن أبيات لجعفر ابن الزبير بن العوام :

أم كيف أنسى مسيرنا حرماً ... يوم حللنا بالنخل من أمج

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خَرَج مُهاجِراً قال : « الحمد لله الذى خلقنى ولم أَكُ شيئاً ، اللهم أَعِنِّى على هَوْل الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام ، اللهم اصْحبنى فى سَفَرى واخْلُفْنِى فى أهلى وبارِكْ لى فيما رزَقْتَنِى ، ولك فَذَلِّلْنى ، وعلى صالح خَلْقِى فقَوِّمْنى ، وإلى رَبِّى فَحَبِّبْنِى ، وإلى الناس فلا تَكِلْنِى ، أنت رَبُّ المُسْتَضْعفِين وأنت رَبِّى ، أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكريم الذى أَشْرَقَتْ له السموات والأرض فكشفت به الظُلُمات وصَلُح عليه أَمْرُ الأولين والآخرين ، أن يَحِلَّ بى غَضَبُك أو يَنْزِلَ عَلَىَّ سُخْطُك ، أعوذ بك من زوال نِعْمَتِك وفُجَاءةِ نِقْمَتِك وتَحَوُّلِ عَافِيَتِك وجميع سُخْطِك ، لَكَ العُتْبَى خير ما استطعت ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بك » .

وروى الإمام أحمد والشيخان ويعقوب بن سفيان[1] عن البَرَاء بن عازِب رضى الله عنه أن أباه قال لأبى بكر رضى الله عنه : كيف صَنَعْتُما ليلة سَرَيْتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : خرجنا فأَدْلَجْنَا فأَحْيَيْنا يَوْمَنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت ببصرى هل أرى ظِلاً نأوى إليه فإذا أنا بِصَخْرَةٍ فَأَهْوَيْتُ إليها فإذا بَقِيَّةُ ظِلِّها فَسَوَّيْتُه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فَرْوَة ثم قلت: اضطجع يا رسول الله وأنا أَنْفُض لك ما حولك ، ثم خرجتُ [هل أرى أحداً من الطَّلَب[2]] فإذا براعٍ مُقْبِل بغنمه يريد من الصخرة ما أردنا : فَلَقِيتُه فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من أهل مكة ، فسَمَّاه فعرفته فقلت : هل فى غَنَمك من لبن؟ قال : نعم . قلتُ: هل أنت حَالِبٌ لى ؟ قال : نعم . فأمرته فاعتقل شاةً منها . فقلت : انفض الضرع من التراب والقَذَى ، فحلب لى فى قَعْبٍ معه كُثْبَةً[3] من لبن ومعه إداوة أرتوى فيها للنبى صلى الله عليه

---

(١) هو الإمام الحجة أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسى الفسوى صاحب التاريخ الكبير والمشيخة روى عنه الترمذى والنسائى وابن خزيمة وأبو عوانة وابن أبى حاتم وآخرون وبقى فى الرحلة ثلاثين سنة . قال أبو زرعة الدمشقى قدم علينا من نبلاء الرجال يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أن يروا مثله ، توفى سنة ٢٧٧هـ ، انظر تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ وخلاصة الخزرجى ص ٣٧٥ . وإسناد هذا الحديث الذى رواه يعقوب مختلف عما أورده ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ٢١٠) ومن رواته محمد أبو سعيد عن إسرائيل عن أبى إسحق عن البراء بن عازب قال اشترى أبو بكر من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب مر البراء فليحمله إلى منزلى فقال لا حتى تحدثنا كيف صنعت حيث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

(٢) زيادة من أسد الغابة .

(٣) الكثبة كما فى النهاية (جـ ٤ ص ٩) : بضم الكاف وتسكين المثلثة كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك والجمع كثب .

وسلم يشرب منها ويَتَوَضَّأ ، على فمها خِرْقة ، فَأَتَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وكَرِهْتُ أَن أوقظه من نومه ، فوقفت حتى استيقظ ، فَصَبَبْتُ على اللبن من الماء حتى بَرَدَ
٤١٢ و أَسْفَلُه ، فقلت : يا رسول الله اشرب من هذا اللبن . فشَرِب حتى رَضِيت . / ثم قال : أَلَم يأن الرحيل ؟ » قلت : بلى. قال فارتحلنا بعد ما زالت الشمس .

قِصَّة أُم مَعْبَد رضى الله عنها

روى الطبرانى والحاكم وصحَّحَه ، وأَبو نُعَيْم وأَبو بكر الشافعى عن حُبَيْش بن خالد الأَشْعر[١] الخُزَاعى القُدَيْدِى[٢] ، أَخى أم مَعْبَد رضى الله عنهما ، وأَبو بكر الشافعى عن أَبى سَلِيط[٣] - بفتح السين المهملة وكسر اللام فمُثَنَّاة تحتية فطاء مهملة - واسمه أُسَيْرَة - بضم أَوله وفتح ثانيه وسكون المُثَنَّاة التحتية - ابن عَمْرو الأَنصارى رضى الله عنه ، وابن سعد والبيهقى عن أَبى مَعْبَد[٤] ، وابن السَّكَن عن أُم مَعْبَد رضى الله عنها ، والبَزَّار[٥] أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأَبو بكر ، ومولى أَبى بكر عامر بن فُهَيْرَة ودليلهم الليثى عبد الله بن الأُرَيْقِط[٦] ، مَرُّوا على خَيْمَة[٧] أُم مَعْبَد الخُزَاعية ، وهى لا تعرفه ، وكانت بَرْزَةً جلدة تحتبى بِفِنَاء

---

(١) اختلف فى نسبه إذ جاء فى أسد الغابة (جـ١ ص٣٧٦) : حبيش بن خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم .. وقيل حبيش بن خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة - لايذكرون منقذاً - الخزاعى الكعبى أبو صخر وأبو خالد ، يقال له الأشعر . وقال ابن الكلبى،حبيش هو الأشعر وزاد فى نسبه . . وهو أخو أم معبد وصاحب حديثها .

(٢) نسبه إلى قديد موضع قرب مكة وهو على لفظ التصغير وفى معجم البكرى (جـ ٣ ص ١٠٥٤) أن هذه القرية سميت قديداً لتقدد السيول بها وهى لخزاعة .

(٣) أبو سليط الأنصارى مدنى اسمه أسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك . . الخزرجى النجارى .

(٤) أبو معبد الخزاعى زوج أم معبد مختلف فى اسمه . قال محمد بن إسماعيل اسمه : حبيش وأنه سمع حديثه من أم معبد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وروى عن أبى معبد زوجها وعن حبيش بن خالد أخيها ، كلهم يرويه بمعنى واحد . قيل توفى أبو معبد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسكن قديداً .

(٥) فى الأصول : والبزار عن ثم بياض بقدر ثلاث كلمات لم نستطع تكملته .

(٦) فى إحدى النسخ الخطية من سيرة ابن هشام هو عبد الله بن أرقد بالدال بدل الطاء ، وفى رواية الأموى أريقد بالتصغير وقيل رقيط كما فى الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٣٩) وهو من الديل وقيل الدئل كما فى فتح البارى . وكان الأريقط على دين كفار قريش ولم يعرف له إسلام فيما بعد كما جزم به عبد الغنى المقدسى وتبعه النووى وقال ابن حجر فى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبى فى التجريد وقال السهيلى (جـ ١ ص ٨) : عبد الله بن أريقط لم يكن إذ ذاك مسلماً ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك .

(٧) فى رواية : خيمتى .

القُبَّة ثم تَسْقِى وتُطْعِم فسألوها لَحْمًا وتَمْراً ليشتروه منها ، فلم يُصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وإذا القَوْمُ مُرْمِلُون مُسْنِتُون . فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزناكم . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاةٍ فى كِسْر الخَيْمَة - وفى لفظ فى كِفَاء البيت - فقال : « ما هذه الشاة يا أم مَعْبَد ؟ » قالت : شاة خَلَّفَها الجَهْد عن الغَنَم . قال : « هل بها من لبن ؟ » قالت : هى أَجْهَد من ذلك . قال : « أتأذنين لى أن أَحْلُبها ؟ » قالت : بأَبى أنت وأمى [نعم][1] إن رَأَيْتَ بها حَلَباً فَاحْلُبها فوالله ما ضربها فحل قط فشأنك بها . فَدَعَا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فَمَسَحَ بيده ضَرْعَها وظَهْرَها وسَمَّى الله عز وجل ودعا لها فى شاتها فتَفَاجَّتْ عليه ودَرَّتْ [واجْتَرَّتْ][2] ، ودعا بإناءٍ يُرْبِضُ[3] الرَّهْطَ فحلب فيه ثَجًّا حتى عَلَاه البهاء - وفى لفظ الثُّمَال[4] - ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أَصحابه حتى رَوَوْا ، ثم شَرِب صلى الله عليه وسلم آخرهم ، وقال : « ساقى القَوْم آخِرُهُمْ شُرْباً »[5] . ثم حَلَبَ فيه ثانيةً بعد بدء[6] حتى ملأَ الإناء ثم غادره عندها . فبايعها وارتحلوا عنها .

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت : « بقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكنا نحلُبها صَبُوحاً وغَبُوقاً ، وما فى الأَرض قليل ولا كثير » . وقال هشام بن حُبَيْش : « أنا رأَيْتُ الشاة وإنها لتَأْدُم أُمَّ مَعْبَد وجميع صِرْمَتِها » ، أى أهل ذلك الماء .

فَقَلَّ ما لَبِثَتْ أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أَعْنُزاً حِيَالاً[7] عِجَافاً [يَتَسَاوَكْنَ

---

(١) زيادة من أسد الغابة (جـ ١ ص ٣٧٧) .

(٢) زيادة من أسد الغابة والسهيلى (جـ ٢ ص ٨) والنهاية (جـ ٣ ص ١٨٤) .

(٣) يربض الرهط أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض من ربض بالمكان يربض إذا لصق بالمكان وأقام ملازما له . انظر النهاية جـ ٢ ص ٥٩ .

(٤) فى النهاية (جـ ١ ص ١٣٤) فى حديث أم معبد : فحلب فيه ثجاً حتى علاه الثمال ، الثمال هو بالضم الرغوة واحدة الثمالة .

(٥) أخرجه الترمذى وابن ماجه ، انظر الجامع الصغير (جـ ٢ ص ٣٠) .

(٦) فى السهيلى (جـ ٢ ص ٨) : ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل .

(٧) ٢ : كل أنثى لا تحبل فهى حائل يقال امرأة حائل وناقة حائل والجمع حول وحيال . وفى النهاية (جـ ١ ص ٢٧٢) : والشاء عازب حيال أى غير حوامل ، حالت تحول حيالا ، وهى شاء حيال وإبل حيال ، والواحدة حائل وجمعها حول أيضا بالضم .

هزالاً مخهن قليل[1]]

فلما رأى اللبن عَجِب فقال : من أين لَكِ هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب فى البيت ؟ قالت : « لا والله إلا أنه مَرَّ بنا رجل مُبَارَك من حاله كذا وكذا » . قال : « صِفِيهِ لى يا أم مَعْبَد » . قالت : « رأيْتُ رجلاً ظاهِرَ الوَضَاءة أَبْلَجَ الوَجْهِ حَسَن الخُلُق ، لم تَعِبْهُ ثُجْلة ولم تُزْرِ به صَعْلة ، وَسِيمٌ قَسِيم ، فى عَيْنَيْه دَعَج وفى أشفاره وَطَف وفى صوته صَحَل – أو قالت صهل – وفى عنقه سَطَع ، وفى لحيته كثاثة ، أَزَجّ أَقْرَن ، إن صَمتَ فعليه الوَقَار ، وإن تكلم سَمَا وعَلَاهُ البَهَاء ، أجملُ الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب ، حُلْو المنطق فَصْل لا نَزْر ولا هَذْر ، كأَن منطقه خَرَزَات نظم يَتَحَدَّرْن ، رَبْعَةٌ لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه / عَيْنٌ من قِصَر ، غُصْنٌ بين غُصْنَيْن ، فهو ٤١٢ ظ
أَنْضَرُ الثلاثة منظراً وأحسنُهم قدراً ، له رُفَقَاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أَمَر تبادروا إلى أمره ، مَحْفُود[2] محشود لا عابس ولا مُفَنَّد » . فقال أبو معبد : « هذا والله صاحب قريش الذى ذُكِر لنا من أمره بمكة ما ذُكِر ولقد هممت أن أصحبه ولأَفْعَلَنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً » .

قالت أسماء رضى الله عنها : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نَفَرٌ من قريش فيهم أبو جَهْل بن هشام فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ » فقلت « والله لا أدرى أين أبى » . فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلَطَم خَدِّى لَطْمَةً خرج[3] منها قُرْطِى ، ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاثة أيام ما ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى رجل من الجِنّ من أسفل مكة يتغَنَّى بأَبيات من شعر غناء العرب وتبعه الناس يسمعون صوته وما يَرَوْنَه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

---

(١) زيادة من أسد الغابة (حـ ١ ص ٣٧٧) وتساوك أى سار سيرا ضعيفا وتساوكت الماشية أى هزلت حتى تمايلت فى مشيها من الضعف . وفى حديث أم معبد فى النهاية (جـ ٢ ص ١٩٤) فجاء زوجها يسوق أعنزاً عجافا تساوك هزالا وفى رواية ما تساوك هزالا يقال تساوكت الابل إذا اضطربت أعناقها من الهزال أراد أنها تمايل من ضعفها ويقال أيضا جاءت الإبل ما تساوك هزالا ما تحرك رءوسها . ومخهن قليل أى الودك الذى فى العظم .

(٢) المحفود الذى يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته ، عن النهاية (جـ ١ ص ٢٣٩) .

(٣) فى رواية خرم وفى أخرى طرح منها .

جَزَى اللهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جزائِه[1] رفيقَيْن قالا[2] خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ
هما نَزَلا بالبرِّ[3] وارْتَحَلا به فأَفلح من أَمْسَى رفيقَ مُحَمَّدِ
فَيَالَقُصَيٍّ ما زَوَى[4] اللهُ عَنْكُمُ به من فَعالٍ[5] لا تُجَارَى[6] وسُؤدَدِ
لِيَهْنِ بَنِى كَعْبٍ مَقَامَ[7] فتاتِهم وَمَقْعَدها للمؤمنين بِمَرْصَدِ[8]
سَلُوا أُخْتَكُمْ عن شاتها وإنائها فَإِنَّكُمُ إن تسألوا الشاةَ[9] تَشْهَدِ
دعاها بشاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ له بصريحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ[10] مُزْبِدِ
فغادَرَها رَهْناً لديها لحالبٍ يُرَدِّدُها[11] فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدِ

فلما سمع ذلك حَسَّان بن ثابت الأَنصارى رضى الله عنه قال يجاوب الهاتف :

لقد خَابَ قَوْمٌ غاب عنهم نَبِيُّهُمْ وقُدِّسَ من يسرى إليه ويَغْتَدِى[12]
تَرَحَّلَ عن قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وحَلَّ على قَوْمٍ بنورٍ مُجَدَّدِ
هَدَاهُمْ به بعد الضَّلَالةِ رَبُّهُمْ وأَرْشَدَهُمْ من يَتْبَعِ الحَقَّ يُرْشَدِ
وهل يَسْتَوِى ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمًى وهُدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِ[13]
لقد نَزَلَتْ منه على أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عليهم بِأَسْعُدِ
نَبِيٌّ يَرَى ما لا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ويَتْلُو كِتَابَ اللهِ فى كُلِّ مَسْجِدِ

---

(١) فى رواية أبى سليط : جزى الله خيرا والجزاء بكفه .
(٢) قالا أى نزلا وقت القيلولة ، وفى رواية حلا .
(٣) فى الأصول : بالهدى وأثبتنا رواية ابن سعد وابن الأثير والنويرى وفى الخشنى :
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
وفى شرح المواهب هما رحلا بالحق وانتزلا به . وفى رواية هما نزلا بالهدى واغتدوا به .
(٤) زوى أى جمع وقبض .
(٥) فى شرح المواهب قال البرهان وتبعه الشامى مؤلف هذا الكتاب : الظاهر بفتح الفاء وخفة العين وهو الكرم .
(٦) وفى رواية لا تجازى بالزاى بدلا من الراء . كما أن عجز هذا البيت فى الديوان : به من فخار لا يبارى وسؤدد .
(٧) فى ت وم : مكان وفى ط والديوان والخشنى مقام .
(٨) أى مقعدها بمكان ترقب المؤمنين فيه لتواسيهم .
(٩) فى الأصول : « إن تسألوا الناس وأثبتنا رواية ديوان حسان والخشنى وابن الأثير فى أسد الغابة (جـ١ ص٣٧٧)
(١٠) الصريح اللبن الخالص لم يخلط ، والضرة : أصل الضرع .
(١١) فى نهاية الأرب للنويرى (جـ ١٦ ص ٣٣٧) . تدر بها بدلا من يرددها .
(١٢) فى الأصول زال بدلا من غاب وأثبتنا رواية الديوان .
(١٣) فى الخشنى وهاد به نال الهدى كل مهتد .

وإن قال فى يَوْمٍ مَقَالَةَ غائِبٍ فتصديقُها فى اليَوْم أو فى ضُحَى الغَدِ
لِيَهْنِ أَبا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَـــدِّهِ بِصُحْبَتِهِ من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَـدِ

وروى البيهقى بسَنَدٍ حَسَّنه والحافظ ابن كثير عن أَبى بكر رضى الله عنه أَنه قال : « خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فانتهينا إلى حَيٍّ من أَحياء العرب فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت مُنْتَحِيًا فقصد إليه ، فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأَة فقالت : يا عَبْدَىْ الله إنما أَنا امرأَة وليس معى أَحد فعليكما بعظيم الحَىِّ إن أَردتم القِرَى . قال : فلم نُجِبْها ، وذلك عند المساء ، فجاء/ابنٌ لها بأَعْنُزٍ له يسوقها . ٤١٣ و
فقالت له : يابنى انطلق بهذه العنزة والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما : تقول لكم أُمِّى : اذبحا هذه وأَطْعِمَانا . فلما جاء قال له النبى صلى الله عليه وسلم : « انْطَلِقْ بالشفرة وجئنى بالقدح » . قال : إنها عازب وليس لها لبن . قال : « انْطَلِقْ » . فانطلق فجاء بقدح فمسح النبى صلى الله عليه وسلم ضَرْعَها ثم حَلَب مِلْء القَدَح ثم قال : انْطَلِقْ به إلى أُمِّك . فشَرِبَتْ ثم رَوِيَتْ ثم جاء به . فقال : انطلِق بهذه وجئنى بأَخرى ففعل بها كذلك . ثم سقى أَبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم » .

« فلبثنا ليلتين ثم انطلقنا ، وكانت تسميه المبارك ، وكثرت غَنَمُها حتى جَلَبَتْ حَلْبًا[1] إلى المدينة فمر أَبو بكر رضى الله عنه فرآه ابنها فعرفه ، فقال: يا أُمه إن هذا الرجل الذى كان مع المبارك ، فقامت إليه فقالت : يا عبد الله مَنْ الرجل الذى كان معك ؟ قال : وماتَدْرِين ؟ قالت : لا . قال : هو نَبِىُّ الله صلى الله عليه وسلم . قالت : فأَدْخِلْنِى عليه . قال : فأَدخلها فأَطعمها وأَعطاها . وفى رواية فأَهْدَتْ إليه شيئاً من أَقِط[2] ومتاع الأَعراب ، فكساها وأَعطاها » ، قال ـ ولا أَعلمه إلا قال : « أَسلمت » .

قال البيهقى فى الدلائل : « وهذه القصة وإن كانت تنقص عما رَوَيْنَا فى قصة أم معبد وتزيد فى بعضها ، فهى قريبة منها ويشبه أن تكونا واحدة ، وقد ذكر ابن إسحق فى قصة

---

(١) هكذا فى الأصول .

(٢) الأقط كما قال الأزهرى فى المصباح يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل ، وهو بفتح الهمزة وكسر القاف وقد تسكن القاف للتخفيف مع فتح الهمزة وكسرها نقله الصغانى عن الفراء ، ومصل اللبن يمصله مصلا من باب نصر وضعه فى وعاء خوص ، أو نحوه حتى يقطر ماؤه .

أم معبد شيئا يدل على أنها وهذه القصة واحدة . ثم روى البيهقى من طريق يونس بن بكير[1] عن ابن اسحق قال : « فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد وهى التى تَمَرَّدَ بها الجِنّ بأعلا مكة . واسم أم معبد عاتكة بنت [خالد][2] . بن خليف بن مُنْقِذ بن ربيعة بن أَصْرَم [الخُزَاعية][2] ، فأراد القِرَى فقالت : والله ما عندنا طعام ولا لنا منحة ولا لنا شاة إلا حائل ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض غَنَمها فمسح ضرعها بيده فدعا الله تعالى فَحَلب فى العُسّ[3] حتى رَغَّى[4] ، وقال : « اشربى يا أم معبد » . قالت : اشرب أنت به أحق . فَرَدَّهُ عليها فشَرِبت . ثم دعابحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك ، فسقى دَلِيلَه ثم دعا بحائل ففعل بها مثل ذلك فسقى عامر بن فُهَيْرَة ، ثم استراح[5]

وطلبت قريش رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه فقالوا : « أَرَأَيْتِ محمداً من حِلْيَتِه كذا وكذا ؟ » فوصفوه لها ، فقالت : « ما أدرى ما تقولون فقد ضَافَنِى حالِبُ الحائل ؟ » قالت قريش : « فذلك الذى أردنا » . قاله البيهقى : فيُحْتَمَل أولاً أنه رأى التى فى كِسْر الخيمة ، كما رَوَيْنَا فى حديث أم معبد ، ثم رجع ابنها بأَعْنُز كما روينا ثم لما أتى زوجُها وصفته له ، والله أعلم .

قِصَّة سُراقة رضى الله عنه

روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والشيخان عن سُرَاقة بن مالك رضى الله عنه ، والإمام أحمد والشيخان ويعقوب عن أبى بكر رضى الله عنه قال سُرَاقة بن جُعْشُم : جاءنا

---

(١) هو يونس بن بكير بن واصل أبو بكر الشيبانى الكوفى ، العالم المؤرخ صاحب المغازى حدث عن الأعمش وهشام بن عروة وعمرو بن ذر . وابن إسحق وكهمس بن الحسن وخلق ، وروى عنه ابنه عبد الله وأبو كريب ويحيى ابن معين وأبو سعيد الأشج وآخرون . وثقه يحيى بن معين وقال أبو داود ليس بحجة وتوفى يونس بن بكير سنة ١٩٩ هـ . انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٢٩٩ . وفى خلاصة الخزرجى ص ٣٧٩ : أن النسائى ضعفه وأن أبا داود قال بأنه يأخذ كلام ابن إسحق فيوصله بالأحاديث .

(٢) زيادة من أسد الغابة (جـ ٥ ص ٤٧٩) وذكر ابن الأثير فى نسبها أنها عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة وقيل عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة ابن أصرم .

(٣) العس : القدح الكبير وجمعه عساس وأعساس قاله فى النهاية (جـ ٣ ص ٩٥) .

(٤) فى المصباح : رغى اللبن بالتشديد ترغية علت رغوته .

(٥) فى الأصول : ثم يروح ، ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

رُسُل كُفَّار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دِيَةَ كُلِّ واحد مِنْهُما مائة ناقة من الإبل لمن قَتَله أو أَسَره ، فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدْلِج[1] أقبل رجل منهم حتى قام علينا [ونحن جلوس][2] فقال : يا سُرَاقة إنى قد رأيت آنفاً أَسْوِدَةً[3] بالساحل- وفى لفظ: رَكَبَةً[4] ثلاثة - أَرَاها محمداً وأَصْحابه. قال سراقة : فعَرَفْتُ أنهم هم ، فأَومأْت إليه بعينى أن اسْكُتْ ، فسَكَتَ ، ثم قلت له : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأَيْتَ فلاناً / وفلاناً انطلقوا يبتغون ضَالَّةً لهم . ثم لَبِثْتُ فى المجلس ٤١٣ ظ
ثم قُمْتُ فدَخَلْتُ بَيْتى فأَمَرْتُ جاريتى أن تَخْرُجَ بفرسى وهى من وراء أَكَمَة فَتَحْبسها عَلَىَّ ، وأَخذتُ رُمْحِى فخرجتُ به من ظَهْر البيت فَحَطَطْتُ[5] بزُجِّه[6] الأَرْضَ وخَفَضْتُ عالِيَه حتى أَتيتُ فرسى فَرَكِبْتُها ، فرفَعْتُها تُقَرِّبُ بى حتى رأيتُ أَسْوِدَتَهُما ، فلما دَنَوْتُ منهم عَثَرَتْ بى فَرَسِى فَخَرَرْتُ عنها فقُمْتُ فأَهْوَيْتُ بيدى إلى كِنَانَتِى فاستخرجتُ منها الأَزلام فاستقسمتُ[7] بها أَضُرُّهُمْ ، أَم لاأَضُرُّهُمْ ، فخرج الذى أكره : أنى لا أَضُرُّهُمْ، وكنت أرجو أن أَرُدَّه فآخذ المائة ناقة ، فرَكِبْتُ فَرَسى وعَصَيْتُ الأَزلام فرفعتُها تُقَرِّب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكْثِر الالتفات ساخت يدا فَرَسى فى الأَرض حتى بَلَغت الرُّكْبَتَيْن فَخَرَرْتُ عنها ، ثم زَجَرْتُها

---

(١) نسب سراقة كما ساقه ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٢ ص ٢٦٤) هو : سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك ابن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكنانى المدلجى .يكنى أبا سفيان . هذا وقد توفى سراقة فى سنة ٢٤ هـ .

(٢) زيادة من صحيح البخارى .

(٣) أسودة هى أشخاص جمع سواد كأزمنة جمع زمان .

(٤) فى الصحاح الركب أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها والجمع أركب والركبة بالتحريك أقل من الركب .

(٥) كذا رواية الكشميهنى ، ورواية غيره فخططت بالخاء المعجمة .

(٦) الزج الحديدة التى فى أسفل الرمح والجمع زججة وزجاج قاله الجوهرى فى الصحاح .

(٧) فى النهاية (ج ٣ ص ٢٥٤) الاستقسام طلب القسم الذى قسم له وقدر مما لم يقسم ولم يقدر وهو استفعال منه وكانوا (فى الجاهلية) إذا أراد أحدهم سفرا أو تزويجا أو نحو ذلك من المهام ضرب بالأزلام وهى القداح (جمع قدح) وكان على بعضها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى وعلى الآخر غفل فإن خرج ، أمرنى ربى مضى لشأنه، وإن خرج نهانى أمسك وإن خرج الغفل عاد فأحالها إلى أن يخرج الأمر أو النهى .

فنَهَضْتُ فلم تَكَدْ تُخْرِج يَدَيْهَا فلما استوت قائمة إذا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَان[1] ساطعٌ فى السماء مثل الدُّخَان فاسْتَقْسَمْتُ بالأَزلام فخرج الذى أكره ـ ألا أَضُرُّهُمْ ـ قال : فعَرَفْتُ حين رأيتُ ذلك أنه قد مُنِع منى وأنه ظاهر ، فناديتهم بالأَمان وقلت : أَنْظِرونى فوالله لاآذيتكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « قُلْ له وما تبتغى منا ؟ » فقلت : إن قَوْمَك قد جعلوا فيكما الدِّيَة وأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم وعَرَضْتُ عليهم الزاد والمتاع فلم يَرْزآنى شيئا ولم يسألانى إلا أن قال : « أَخْفِ عَنَّا »[2] فسألتُه أن يكتب لى كتاب موادعة[3] آمَنُ به ، قال : « اكتب له يا أبابكر » ـ وفى رواية : فأمر عامر بن فُهَيْرَة فكتب فى رقعة من أَديم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[ثم رجعت][4] فسَكَتُّ فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفَرَغ من حُنَيْن والطائف خرجتُ لألقاه ومعى الكتاب الذى كتب لى [فلَقِيتُه بالجِعْرانة[4]] . قال : « فبينا أنا عامِدٌ له دخلت بين ظَهْرَىْ كتيبة من كتائب الأنصار ، فطَفِقُوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزِه[5] كأنها جُمَّارة[6] . قال : فرفعتُ يدى بالكتاب . ثم قلت : يا رسول الله هذا كتابُك لى وأنا سُراقة بن مالك قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَوْمُ وفاءٍ وبِرٍّ أُدْنُهُ » ، فدنوت منه فأسلمت ، ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يا رسول الله الضَّالَة من الإبل تَغْشَى حياضى وقد مَلَأْتُها لإبلى

---

(١) فى الأصول : غبار والتصويب من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٨) . وفى حديث الهجرة وسراقة فى النهاية (جـ ٣ ص ٦٩) : وخرجت قوائم دابته ولها عثان أى دخان وجمعه عواثن على غير قياس . وفى حديث مسيلمة لما أراد الإعراس بسجاح قال عثنوا لها أى بخروا لها البخور .

(٢) فى الأصول خفف عنا وأثبتنا رواية البخارى .

(٣) رواية ابن إسحق كما أوردها ابن هشام : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك .

(٤) زيادة من ابن هشام جـ ٢ ص ١٠٣ و ١٠٤ . والجعرانة بتخفيف الراء أو بتشديدها كما فى معجم البكرى (جـ ٢ ص ٣٨٤) هى ماء بين الطائف ومكة وهى إلى مكة أدنى .

(٥) فى النهاية (جـ٣ ص١٥٨) كان إذا وضع رجله فى الغرز يريد السفر يقول : بسم الله . الغرز ركاب كور الجمل : إذا كان من جلد أو خشب ، وقيل هو الكور مطلقا مثل الركاب للسرج .

(٦) الجمارة قلب النخلة وشحمتها شبه ساقه ببياضها . قاله فى النهاية (جـ ١ ص ١٧٥) .

هل لى من أجر [فى أن أسقيها[1]] ؟ قال : « نعم فى كل ذات كَبِدٍ حَرَّى أجر[2] » قال : ثم رجعت إلى قومى فسُقْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى .

وقال أبو بكر رضى الله عنه : « وتَبِعَنا سُرَاقة بن مالك ونحن فى جَلَدٍ من الأرض فقلت : يا رسول الله هذا الطلب قد لَحِقَنا . قال : « لا تحزن إن الله معنا » . فلما دَنَا منَّا وكان بيننا وبينه قَدْر رُمْحٍ أو رُمْحَيْن أو ثلاثة قلت : هذا الطلب قد لَحِقَنَا وبكيت . [قال صلى الله عليه وسلم : « ما يبكيك ؟[3]] قلت : « أمَا والله ما على نفسى أبكى ولكنى أبكى عليك » . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اكفناه بما شئت » . قال : فساخَتْ به فَرَسُه فى الأرض إلى بطنها فوثب عنها ، ثم قال : يا محمد قد عَلِمْتُ أن هذا عَمَلُك فَادْعُ الله أن يُنْجِيَنى مما أنا فيه ، فَوَاللهِ لَأُعَمِّيَنَّ على مَنْ ورائى من الطلب وهذه كنانتى فَخُذْ منها سهماً فإنك سَتَمُرُّ على إبلى وغنمى بمكان كذا وكذا فَخُذْ منها حاجَتَك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا حاجة لنا فى إبِلِك وغنمك » ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فانطلق راجعاً إلى أصحابه لا يَلْقَى أحداً إلا قال : قد كُفِيتُم ما ههنا ، ولا يَلْقَى أحداً / إلا رَدَّه ، ووَفَى لنا . ٤١٤ و

وعند ابن سعد أن سُرَاقة لما رجع قال لقريش : قد عرفتم بصرى بالطريق وقد استبرأت لكم فلم أرَ شيئا[4]، فرجعوا . وقال ابن سعد والبلاذرى : عارضهم سراقة بِقُدَيْد يوم الثلاثاء .

وروى ابن عساكر عن ابن إسحق قال : قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه — فيما يذكرون والله أعلم فى دخوله الغار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى مسيرهم وفى طلب سُرَاقة إياهم[5] :

---

(١) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١٠٤) .

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب رحمة الناس بالبهائم (جـ ٨ ص ١٦) بلفظ : فى كل ذات كبد رطبة أجر .

(٣) زيادة من الرياض النضرة فى مناقب العشرة للمحب الطبرى (جـ١ ص٧٢ طبعة القاهرة سنة١٣٢٧ هـ) . وشرح المواهب (جـ ١ ص ٣٤٧) .

(٤) لفظ ابن سعد فى الطبقات (جـ ١ ص ٢١٩) . « ورجع (سراقة) فوجد الناس يلتمسون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ارجعوا فقد استبرأت لكم ما ههنا وقد عرفتم بصرى بالأثر » . وفى شرح المواهب ما يقرب من نقل المؤلف .

(٥) أورد السهيلى هذه القصيدة (جـ ٢ ص ٦ ، ٧) وقدم لها بقوله : وفى السير من رواية يونس شعر لأبى بكر رضى الله عنه فى قصة الغار .

قال النَّبِيُّ ولم يجْزَعْ يُـوَقِّرُنى ... ونحن فى شِدَّةٍ من ظُلْمَةِ الغَـار

لا تَخْشَ شيئا فإن اللهَ ثَالِثُنَـا ... وقـد تَوَكَّل لى مِنْهُ بإظهـارِ

وإنمـا كَيْدُ مَنْ تُخْشَى بَـوَادِرُهُ ... كَيْدُ الشَّيَاطِين كَادَتْهُ لكُفَّـارِ

واللهُ مُهْلِكُهُم طُرًّا بمـا كَسَبُوا ... وجَاعِلُ المُنْتَهى منها إلى النَّارِ

وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عنهم وَتَارِكُهُـمْ ... إمَّا غُدُوًّا وإمَّا مُدْلِجٌ سَـارِى

وَهَاجِرٌ رَضْمَهُم(١) حتى يَكُونَ لنـا ... قَوْمٌ عليهم ذوو عِزٍّ وأَنْصَـارِ

حَتَّى إذا اللَّيْلُ وَارَتْنَا جَـوَانِبُهُ ... وَسُدَّ مِنْ دُون مَنْ تَخْشَى بِأَسْتَارِ

سَارَ الأُرَيْقِطُ يَهْدِينَا وأَيْنُقُـه(٢) ... يَنْعَبْنَ(٣) بالقَوْمِ نَعْباً تحت أَكوارِ(٤)

يَعْسِفْنَ(٥) عُرْضَ(٦) الثَّنَايا(٧) بَعْدَ أَطْوَلِها ... وكُلَّ سَهْبٍ(٨) رِقَاقِ التُّرْبِ مَوَّارِ(٩)

حَتَّى إذا قُلْتَ قد أَنْجَدْنَ(١٠) عَارَضَهَا(١١) ... من مُدْلِجٍ فارِسٍ فى مَنْصِبٍ وارِى

[يُرْدِى بِهِ مُشْرِفَ الأَقْطَارِ مُعْتَزِمٌ ... كَالسِّيدِ(١٢) ذى اللِّبْدَةِ المُسْتَأْسِدِ الضَّارِى](١٣)

فَقَالَ كُرُّوا فَقُلْنَا إنَّ كَرَّتَنَا ... مِنْ دُونِها لَكَ نَصْرُ الخَالِقِ البَارِى

أَن يَخْسِفَ الأَرْضَ بالأَحْوَى(١٤) وفَارِسَهُ ... فانظر إلى أَرْبَعٍ فى الأَرض غَوَّار

---

(١) الرضم : الحجارة البيض ، والصخور المتراكمة .

(٢) فى النهاية (ج ٤ ص ١٨٢) فى حديث أبى هريرة : فوجد أينقه : الأينق جمع قلة لناقة وأصله أنوق فقلب وأبدل واوه ياء وقيل هو على حذف العين وزيادة الياء عوضا عنها ، فوزنه على الأول أعفل لأنه قدم العين وعلى الثانى أيفل لأنه حذف العين .

(٣) من نعب البعير ينعب نعبا ونعبانا من باب منع ، إذا أسرع فى سيره .

(٤) أكوار جمع كور والكور الجماعة الكثيرة من الإبل .

(٥) من عسف الطريق أى سار فيه على غير هدى .

(٦) عرض الجبل أى سفحه .

(٧) الثنايا جمع ثنية والثنية الطريق فى الجبل .

(٨) السهب بفتح السين المهملة وضمها والسهب من الأرض ما بعد منها واستوى فى سهولة وهى أجواف الأرض يقال قطعوا سهبا من الأرض .

(٩) موار صيغة مبالغة من مار يمور مورا تحرك وتدافع ومار التراب ثار ومنه الريح الموارة المثيرة للتراب .

(١٠) أنجد ارتفع أو أتى نجدا والنجد ما ارتفع من الأرض وصلب .

(١١) العارض ما اعترض فى الأفق فسده .

(١٢) السيد الذئب

(١٣) هذا البيت زيادة من السهيلى .

(١٤) الأحوى من حوى النبات يحوى حوى وحوة خالط سواده خضرة أو خالط حمرته سواد فهو أحوى .

فَهِيلَ[1] لما رأى أَرْسَاغ مُهْرَتِهِ قد سِخْنَ[2] فى الأَرْضِ لم تُحْفَر بمِحْفَارِ
فقال هل لَكُمُ أن تُطْلِقُوا فَرَسِى وتأخذوا مَوْثِقاً فى نُصْحِ أَسْرَارِ
وأَصْرِفَ الحَىَّ عَنْكُمْ إنْ لَقِيتُهُمُ وأن أُعَوِّرَ[3] منهم عَيْنَ عُوَّارِ
فَادْعُ الذى هو عنكم كَفَّ عَوْرَتَنَا يُطْلِقْ جَوَادِى وأَنْتُمْ خَيْرُ أَبْرَارِ
فَقَالَ قَوْلاً رسولُ الله مُبْتَهِلاً يَارَبِّ إن كان منه غَيْرُ إخْفَارِ[4]
فَنَجِّهِ سَالِمًا من شرِّ دعْوَتِنَا ومُهْرَهُ مُطْلَقاً من كَلْمِ[5] آثَارِ
فَأَظْهَرَ اللهُ إذ يدعو حَوَافِرَهُ وَفَازَ فَارِسُهُ من هَوْلِ أَخْطَارِ

وَرَوَى البخارى عن عُرْوَة والحاكم عنه عن أَبيه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم لَقِىَ الزبير فى رَكْبٍ من المسلمين كانوا تُجَّاراً قافلين من الشام فَكَسَا الزبير رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثياباً بِيضاً[6] . وروى البيهقى عن موسى بن عُقْبَة أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا من المدينة هو وأَبو بكر وقدم طلحة بن عُبَيْد الله من الشام خرج عامداً إلى مكة لما ذُكِر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَبو بكر ، خرج إما مُتَلَقِّياً لهما وإما عامداً عُمْرَةً بمكة ومعه ثياب أَهداها لأَبى بكر من ثياب الشام ، فلما لَقِيَه أَعطاه الثياب ، فلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأَبو بكر[7] .

٤١٤ظ وروى / أَبو نُعَيْم عن أَنس بن مالك عن ....[8] الأَوسى الأَسلمى عن أَبيه قال :

---

(١) هيل أى أخيف من هاله الأمر أفزعه .

(٢) من ساخ أى غاص فى الأرض ، ساخت أرساغ مهرته تسوخ وتسيخ .

(٣) عوره أى صيره أعور وعور فلانا عن الأمر رده وصرفه عنه والعوار القذى فى العين والعوار الضعيف الجبان السريع الفرار ، أو من لا بصر له بالطريق .

(٤) الإخفار : الغدر ونقض العهد .

(٥) الكلم : الجرح كلمه يكلمه كلما من باب ضرب جرحه .

(٦) الحديث أخرجه البخارى (جـ ٥ ص ١٥٩) عن عروة بن الزبير مرسلا وفيه ثياب بياض وأورده ابن الأثير فى النهاية فى حديث آخر ثيابا بيضا .

(٧) رواية الحاكم عن عروة عن أبيه تذكر أيضا أن طلحة بن عبيد الله لقيهما وكساهما . قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن كلا من طلحة والزبير أهدى لهما ، والذى فى السير هو طلحة ، والأولى الجمع وعند أبى شيبة ما يؤيده وإلا فما فى الصحيح أصح . هذا ما ذكره كل من السمهودى فى وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٧٤) والديار بكرى فى تاريخ الخميس (جـ١ ص ٣٣٥) .

(٨) نرجح وجود اسم فى هذا الإسناد أغفله النساخ وربما كان أبا تميم الأسلمى ، قيل هو جد بريدة بن سفيان ابن فروة وكان غلامه مسعود الذى ورد ذكره فى آخر هذا الحديث . انظر أسد الغابة (جـ ٤ ص ١٧٨) .

« لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مَرُّوا بإبِل لنا بالجُحْفَة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِمَنْ هذه الإبل ؟ » فقالوا : لِرَجُلٍ من أَسْلَمَ[1] فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر فقال : « سلمنا إن شاء الله » . فأتاه أبي وحمله على فَحْل من إبلِه وبعث معه غُلَامَه مسعود » . وروى أبو يَعْلَى والطبرانى والحاكم والبيهقى وأبو نُعيْم عن قيس بن النُّعْمَان قال : « لما انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مُسْتَخْفِين مَرُّوا بعبْد يَرْعَى غَنَماً فاستسقياه اللبن فقال : ما عندى شاةٌ تُحْلَب ، غير أن ههنا عَنَاقًا[2] حَمَلَتْ أوَّل الشتاء وقد أَخْدَجَتْ[3] وما بقى لها من لَبَن فقال : « ادْعُ بها » ، فَدَعَا بها ، فاعتقلها النبي صلى الله عليه وسلم ومَسَح ضَرْعَها حتى أَنْزَلَتْ . ودعا أبو بكر بِمِجَنٍّ[4] ، فَحَلَبَ وسقى أبا بكر ، ثم حَلَبَ فسقى الراعى ، ثم حَلَبَ فشرب ، فقال الراعى : من أنت ؟ فوالله ما رأيتُ مِثْلَكَ قط . قال : « أَوَتَرَاكَ تَكْتُمُ عَلَيَّ حتى أُخْبِرَك ؟ قال : نعم . قال : « فإنى محمد رسول الله » . قال : أَنْتَ الذى تَزْعُمُ قريش أنك صابئ ؟ قال : « إنهم ليقولون ذلك » . قال : فأَشهد أنك نَبِيُّ الله وأشهد أن ما جِئْتَ به حَقّ ، وأنه لا يفعل ما فَعَلْتَ إلا نَبِيّ » .

وروى البيهقى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر مدخله المدينة : « أَلْهِ عَنِّى الناس فإنه لا ينبغى لِنَبِيٍّ أن يَكْذِب » . فكان أبو بكر إذا سُئِل : من أنت ؟ قال : باغٍ ، وإذا قيل : من الذى معك ؟ قال : هادٍ يَهْدِينِي » . وروى البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : « أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو مُرْدِفٌ

---

(١) هذا الحديث مماثل لما أخرجه البيهقى عن بريدة بن الحصيب وزاد فيه : لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم . . الحديث أورده الزرقانى فى شرحه على المواهب ج ١ ص ٣٤٩ : ٣٥٠ .

(٢) فى المصباح : العناق الأنثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول .

(٣) فى الأصول : أخرجت وصوابها أخدجت كما أوردها ابن كثير فى البداية والنهاية (حـ ٣ ص ١٩٤) . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ١٦٣) : خدجت الناقة وأخدجت إذا ألقت ولدها ناقص الخلق ومنه الحديث : كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهى خداج . وفرق الأصمعى بين خدجت وأخدجت ، فقال : خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل تمام أيامه وإن كان تام الخلق ، وأخدجت إذا ألقته ناقصا وإن كان تام الأيام فالولد من ذلك خديج والناقة خادج والولد من هذا مخدج والناقة مخدج .

(٤) المجن هو الذى يوارى المقاتل ويستره ولا أظن أنه يصلح وعاء للبن ولعله المحلب أى الإناء الذى يحلب فيه .

أبا بكر ، وأبو بكر شَيْخ ، والنبي صلى الله عليه وسلم شابٌّ لا يُعْرَف ، فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : : مَنْ هذا بين يَدَيْك ؟ فيقول : هذا الذى يهدينى السبيل فَيَحْسَب[1] الحاسِب إنما يعنى الطريق وإنما يعنى سبيل الخَيْر » وروى الزبير بن بَكَّار فى المُوَفَّقِيَّات ، وأبو نُعيْم عن طريق شَهْر بن حوْشَب[2] عن ابن عباس عن سعد بن عبادة قال : « لما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة العقبة ، خرجت إلى حضرموت لبعض الحاجة فقضيت حاجتى ثم رجعت حتى إذا كنت ببعض الأرض نمت ففزعت من الليل فإذا بصائح يقول :

أبا عَمْرو تَأَوَّبَنِى[3] السُّهُودُ وراح النومُ وانقطع الهُجُودُ

ثم صاح آخر : « يا خَرْعَب ، ذَهَبَ بِكَ اللَّعِب ، إن أَعْجَبَ العَجَب بين مَكَّةَ ويَثْرِب». قال : وما ذاك يا شاهب ؟ قال : « نَبِىٌّ السلام ، بُعِث بخير الكلام ، إلى جميع الأَنام ، فأُخْرِجَ من البَلَدْ الحَرَام ، إلى نخيلٍ وآطام » ثم طلع الفَجْر فذهبت أتفكر فإذا عظاية[4] وثعبان ميتان ، فما علمت أن النبى صلى الله عليه وسلم هاجر إلا بهذا الحديث » .

٤١٥ و ولما/ شارف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبو عبد الله بُرَيْدَة بن الحُصَيْب[5] الأَسلمى فى سبعين من قومه من بنى سَهْم ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « من أنت ؟ » قال : بُرَيْدَة : فقال لأبى بكر : « برد أَمْرُنَا وصَلُح » . ثم قال : « مِمَّنْ ؟ » قال : من أسلم . فقال لأبى بكر : « سَلِمْنَا » . ثم قال : « مِنْ بَنِى مَنْ ؟ » قال : من بنى سهم. قال : خَرَج سَهْمُك [يا أبا بكر » . فقال بُرَيْدَة للنبى صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ قال : « أنا

---

(١) فى المصباح حسبت المال حسبا من باب قتل أحصيته عدداً والمصدر أيضا حسبة بالكسر وحسبانا بالضم وحسبت زيدا قائما أحسبه من باب تعب حسبا بالكسر بمعنى ظننت .

(٢) هو شهر بن حوشب مولى أسماء بنت يزيد بن السكن أبو سعيد الشامى أرسل عن تميم الدارى وسلمان وروى عن مولاته وابن عباس وعائشة وأم سلمة وجابر وطائفة وروى عنه قتادة وثابت والحكم . وثقه ابن معين ولكن ضعفه النسائى . وقال الذهبى إن روايته عن بلال وتميم الدارى ظاهرة الانقطاع . وقال ابن سعد توفى سنة ١١٢ هـ . انظر ميزان الاعتدال للذهبى (جـ ٢ ص ٢٨٣ : ٢٨٥ رقم ٣٧٥٦) وخلاصة الخزرجى ص ١٤٣ .

(٣) تأوبنى أى عادنى .

(٤) العظاءة سام أبرص والعظاية لغة تميم وجمع الأولى عظاء والثانية عظايات نقلا عن المصباح .

(٥) فى الأصول : أبو بردة الأسلمى والتصويب من أسد الغابة (جـ ١ ص ١٧٥) والإصابة (جـ ١ ص ١٥١) يكنى أبا عبد الله ونسبه كما ساقه ابن الأثير . بريدة بن الحصيب – على صورة التصغير بحاء مهملة – ابن عبد الله بن الحارث ابن سعد .. الأسلمى وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة وذكر قصة إسلامه هو وقومه الديار بكرى فى تاريخ الخميس (جـ ١ ص ٣٣٥) والزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٤٩ : ٣٥٠) .

محمد بن عبد الله رسول الله » . فقال بُرَيْدَة : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فأسلم بُرَيْدَة وأسلم من كان معه جميعاً . قال بُرَيْدَة : الحمد لله الذى أسلم بنو سَهْم طائعين غير مُكْرَهِين[1]] ، فلما أصبح قال بُرَيْدَة للنبي صلى الله عليه وسلم وسلم : « يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء » . فَحَلَّ عمامتَه ثم شَدَّها فى رُمْح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ : كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين العقبة الأُولى والثانية وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران وبعض شهر على التحرير .

الثانى : قول عائشة رضى الله عنها : « ما كنت أرى أحداً يبكى من الفرح حتى رأيتُ أبا بكر يبكى من الفرح » . قال فى الروض[2] : « قالت ذلك لِصِغَر سِنِّها وأنها لم تكن عَلِمَتْ بذلك » وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى فأخذته استحساناً له فقال الطائى يصف السحاب :

دُهْمٌ إذا وَكَفَتْ[3] فى روضةٍ طَفِقَتْ ... عيونُ أَزْهَارِهَا تَبْكِى من الفَرَحِ

وذكر لأبى الطيب وزاد على هذ المعنى :

فلا تُنْكِرَنَّ لَهَا صَرْعَةً ... فَمِنْ فَرَحِ النَّفْسِ ما يَقْتُلُ

[وقال بعض المُحْدَثين :

وَرَدَ الكتابُ مِنَ الحبيبِ بأنه ... سَيَزُورُنى فاسْتَعْبَرَتْ أَجْفَانِى

غَلَبَ السُّرورُ عَلَىَّ حَتَّى أَنَّهُ ... مِنْ فَرْطِ مَا قَدْ سَرَّنِى أَبْكَانِى

يا عَيْن صَارَ الدَّمْعُ عِنْدَكِ عادةً ... تَبْكِينَ فى فَرَحٍ وَفِى أَحْزَانِ][4]

---

(١) ساقطة من الأصول والتكملة من المصادر المذكورة فى الحاشية السابقة .

(٢) فى النسخة المطبوعة من الروض الأنف جـ ٢ ص ٣

(٣) وكف الماء وغيره يكف وكفا ووكيفا ووكفانا سال وقطر قليلا قليلا .

(٤) إضافة من السهيلى جـ ٢ ص ٣.

قال فى الزهر : « وفيه من عدم التَّثبُّت ما ترى ، أيجوز أن يُحْتَجَّ على عائشة بِقَوْل مُحْدَثٍ ؟ إنما كان يُحْتَجُّ عليها لو كانت العَرَب قالته ، أما إذا لم تَقُلْهُ العَرَب فلا حُجَّةَ عليها[1] والله أعلم . قلتُ : السهيلى لم يَحْتَجّ بذلك على عائشة رضى الله عنها ، وإنما ذكره استطراداً للفائدة .

الثالث : نُقِل فى الروض عن بعض شيوخ أهل المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله ، فقال : أَحَبَّ ألاَّ تكون هجرتُه إلا من مال نفسه[2] .

الرابع : كانت هجرته صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عَشْرة من النبوة وذلك يوم الاثنين . روى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : « وُلِد نَبِيُّكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين » . قال الحاكم : « تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين ، إلا أن محمد بن موسى الخوارزمى قال : إنه خرج من مكة يوم الخميس » . قال الحافظ : « يُجْمَع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لأنه أقام فيه ثلاثَ ليالٍ : هى ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد وخرج فى أثناء ليلة الاثنين » .

الخامس : ذكر بعض أهل السِّيَر أن أبا بكر لما رأى المشركين وهو فى الغار ، ذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « لو جاء ونا من ههنا خرجنا من ههنا » . فنظر أبو بكر إلى الغار وقد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به وسَفِينَةٌ مشدودة إلى جانبه » . قال الحافظ ابن كثير[3] : وهذا ليس بمُنْكَر من حيث القُدْرَة العظيمة ولكن

---

(١) يشير المؤلف إلى قول الطائى يصف السحاب .

(٢) لفظ السهيلى (جـ ٢ ص ٣) : سئل بعض أهل العلم لم لم يقبلها إلابالثمن وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا ؟ فقيل : وقد قال عليه السلام : ليس من أحد (وفى رواية) ما أحد أمن علينا فى أهل ومال من ابن أبى قحافة (أى ما أحد أجود بماله وذات يده) . وقد دفع إليه حين بنى بعائشة اثنتى عشرة أوقية ونشاً . فلم يأب ذلك ، فقال المسئول : إنما ذلك لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام فى استكمال فضل الهجرة وأن تكون الهجرة والجهاد على أتم أحوالهما . وهو قول حسن حدثنى به بعض أصحابنا عن الفقيه الزاهد أبى الحسن بن اللوان رحمه الله .

(٣) فى البداية والنهاية جـ ٣ ص ١٨٣ .

لم يردْ ذلك بإسناد قوى ولا ضعيف ، ولسنا نثبت شيئًا من تِلْقَاءِ أنفسنا ولكن ما صَحَّ أو حَسُنَ [سَنَدُه[1]] قلنا به [والله أعلم[1]] .

السادس : السِّرُّ فى اتخاذ رافضة العجم اللُّبَد المُقَصَّصَة على رءوسهم التعظيم للحَيَّات لِلَدْغِهنَّ أبا بكر ليلة الغار .

السابع : روى الإمام أحمد / والحاكم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد لَبِثْتُ ٤١٥ ظـ
مع صاحبى - يعنى أبا بكر - ليلة الغار بضعة عَشَر يوماً مالنا طعام إلا البَرِير[2] » . قال الحاكم « معناه مكثنا مُخْتَفِين من المشركين فى الغار وفى الطريق بضعة عَشَر يوماً » .

قال الحافظ : « لم يقع فى رواية أحمد ذِكْرُ الغار ، وهى زيادة فى الخَبَر من بعض رواته ، ولا يَصِحّ حملُه على حالة الهجرة لِمَا فى الصحيح من أن عامر بن فُهَيْرَة كان يَرُوح عليهما فى الغار باللبن ، ولِمَا وقع لهما فى الطريق من لقاء الراعى ومن النزول بخيمة أُم معبد وغير ذلك ، ويظهر أنها قصة أُخرى » .

الثامن : قال السهيلى[3] : « انْتَبِهْ أيها العبد المـأمور بِتَدَبُّر كتاب الله تعالى لقوله : (إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا[4]) الآية ، كيف كان معهما بالمعنى وباللفظ ؟ أما المعنى فكان معهما بالنصر والإرفاد ، والهداية والإرشاد . وأما اللفظ فإن اسم الله تبارك وتعالى كان يُذْكَر إذا ذُكِر رَسُولُه وإذا دُعِىَ فقيل يا رسولَ الله أو فَعَل رسولُ الله . ثم كان لصاحبه كذلك ، يُقَال : يا خليفة رسول الله ، وفَعَل خليفةُ رسول الله ، فكان يُذْكَر معهما بالرسالة والخلافة ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون » .

التاسع : قال المُهَلَّب بن أبى صُفْرَة رحمه الله : « إنما شرِب النبى صلى الله عليه وسلم من لبن الغَنَم لأنه حينئذٍ كان فى زمن المُكَارَمة ولايعارضه : « لايَحْلُبَنَّ أَحَدٌ شاةً إلا بإذْنه[5]

---

(١) زيادة من البداية والنهاية .

(٢) فى القاموس البرير كأمير هو ثمر الأراك وفى النهاية (جـ ١ ص ٧٣) هو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ ، وقيل هو اسم له فى كل حال .

(٣) الروض الأنف جـ ٢ ص ٥ .

(٤) من الآية ٤٠ من سورة التوبة .

(٥) أى : إلا بإذن صاحبها . وفى كنوز الحقائق للمناوى (ص ١٩٣) أن الشيخين أخرجاه بلفظ : « لا يحلبن أحد ماشية أحد » .

لأن ذلك وقع فى زمن التَّشَاحّ ، أو الثانى محمول على التَّسَوُّر ، والأول لم يقع فيه ذلك ، بل قَدَّم أبو بكر سؤال الرَّاعى : هل أنت حالب ؟ فقال : نعم ، كأنه سأله : هل أذِن صاحب الغَنَم فى حَلْبها لمن يَرد عليه ؟ فقال : نعم ، أو جَرَى على العادة المألوفة للعرب فى إباحة ذلك والإذْن فى الحلْب للمارّ وابن السبيل ، فكان كُلُّ راع مأذوناً له فى ذلك » .

وقال الداودى : « إنما شرِب من ذلك على أنه ابن سبيل ، وله شُرْبُ ذلك إذا احتاج ولا سيما النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبْعَدَ مَنْ قال إنما استجازه لأنه مال حربى لأن القتال لم يكن فُرِض بعد ولا أُبيحت الغنائم » . وقال الحافظ : « قولُ أبى بكر : أفى غَنَمِك لبن ؟ الظاهر أن مرادَه بهذا الاستفهام : أمَعَكَ إذْنٌ فى الحَلْبِ لمن يَمُرُّ بك على سبيل الضِّيَافة ؟ ويحتمل أن أبا بكر لما عرف مالكَ الغَنَم عرف رضاءه بذلك لصداقته له أو إذْنِهِ العامّ بذلك » .

العاشر : ذكر أبو نُعَيمْ هنا قصة إسلام ابن مسعود ، لِمَا وقع فى بعض طرقه ، قال : « كنتُ غلاماً يافِعاً أرعى غَنَماً لعُقْبة بن أبى مُعَيْط بمكة فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، وقد فَرَّا من المشركين ، فقالا : يا غلام هل معك من لبن ؟ » فذكر الحديث[1] ، ويأتى بتمامه فى المعجزات . قال فى البداية والفتح : « قوله فى هذا السياق : « وقد فَرَّا من المشركين » ، ليس المراد به وقت الهجرة ، وإنما ذلك فى بعض الأحوال قبل الهجرة ، لأن ابن مسعود كان ممن أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة كما تقدم ذلك ، وقصته ثابتة فى الصحاح[2] .

الحادى عشر : ذكر فى « العيون » قصة سُرَاقة قبل قصة أم معبد والتزم فى أولها أنه

---

(١) تمام الحديث فى قصة إسلام عبد الله بن مسعود كما أورده ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٣ ص ٢٥٦) : فقلت نعم ولكنى مؤتمن فقال : ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بعناق ، وجذعة فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت فأتاه أبو بكر بمصحاة (أى إناء كما فى الصحاح وفى الأصل : صحوة ولا يستقيم بها المعنى) فاحتلب فيها ثم قال لأبى بكر اشرب ، فشرب أبو بكر ، ثم شرب النبى صلى الله عليه وسلم بعده ، ثم قال للضرع : أقلص فقلص فعاد كما كان ، ثم أتيت فقلت : يا رسول الله علمنى من هذا الكلام أو من هذا القرآن فمسح رأسى وقال إنك غلام معلم – وفى رواية : غليم معلم أى ملهم للصواب والخير كما فى النهاية (ج ٣ ص ١٢٤) – قال : فلقد أخذت منه سبعين سورة ما نازعنى فيها بشر ، وهو أول من جهر بالقرآن فى مكة .

(٢) أخرج البخارى فى صحيحه (ج ٥ ص ١٠٣ : ١٠٤) أربعة أحاديث فى مناقب عبد الله بن مسعود .

يُرَتِّب الوقائع . وذكر فى «الإشارة» قصتها قبل قصة سراقة ، وتَبِعْتُه فى ذلك وهو الصحيح الذى صرّح به جماعة .

الثانى عشر : ذكر رَزين[1] أن قريشاً أقامت أياماً لا يدرون أين أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمِعوا صوتاً على أبى قُبَيْس وهو يقول :

فإن يُسْلِمْ السَّعْدان يُصْبِحْ مُحَمَّدٌ بمكة لا يَخْشَى خِلافَ المُخَالِفِ

كما سمعوا أيضاً البيتين السابقين فى إسلام سَعْد بن مُعَاذ وسَعْد بن عُبَادة :

[فَيَا سَعْدَ سَعْدَ الأَوْسِ كُنْ أَنتَ ناصراً ويا سَعْدَ سَعْدَ الخزرجيين الغَطَارِفِ

أَجِيبَا إلى دَاعِى الهُـــدَى وتَمَنَّيَا علَى اللهِ فى الفِرْدَوْسِ مُنْيَةَ عارفِ][2]

قال السيد / : والأقرب ما تقدم من إنشاد هذه الأبيات قبل ذلك لأن السَّعْدَيْن كانا قد أسلما قبل ذلك . ٤١٦ و

الثالث عشر : فى بيان غريب ما سبق : « قِبَل المدينة » ، بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهتها . « على رِسْلِك » بكسر أوله أى على مَهْلِك والرِّسْل السير الرقيق . « بِأَبِى أَنْتَ » : أنت مُبْتَدَا وخبَرُه : بأَبى أى مُفِيداً بأَبى ، ويُحْتَمَل أن يكون أنت تأكيداً للفاعل يرجو وبأَبى قَسَم . « حَبَس نَفْسَه » : مَنَعها من الهجرة . « السَّمُر » : بسين مهملة مفتوحة وضَم الميم وهو الخَبَط[3] بفتح المعجمة والموحدة وبالطاء المهملة ، هذا المُدْرَج فى تفسير الزهرى . ويقال السَّمُرَة اسم شجرة أُم غيلان ، وقيل ورق الطَّلْح ، والخَبَط ما يُخْبَط بالعصا فيسقط

---

(١) هو رزين بن أنس السلمى . قال ابن حجر فى الإصابة (ج ٢ ص ٢٠٦) : إن له صحبة كما ذكر ابن حبان وابن السكن .

(٢) زيادة من السهيلى (ج ١ ص ٢٧٢) .

(٣) يخلط المؤلف هنا بين السمر والخبط وسبق لنا فى حاشية سابقة أن أوضحنا الفرق بينهما نقلا عن ابن الأثير فى النهاية . فالسمر ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة . والخبط بالتحريك اسم الورق الساقط من ضرب الشجر بالعصا وهو فعل بمعنى مفعول وهو من علف الإبل . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ٨٠) : سمرة مشتق من السمر وهو ضرب من العضاه والعضاه كل شجر له شوك . والخبط (ص ٢٤٠) حشيش ينقع فى الماء وتعلفه الإبل . وفى التاج السمر بضم الميم شجر معروف صغار الورق قصار الشوك وله برمة صفراء يأكلها الناس وليس فى العضاه شىء أجود خشباً من السمر واحدتها سمرة . كما زاد الزبيدى فى مادة خبط : والخبط محركة ورق الشجر ينفض بالمخابط أى العصى ثم يجفف ويطحن ويخلط بدقيق أو غيره ويوخف (أى صب فيه الماء وضرب ليختلط) فتوجره الإبل ، قال أبو حنيفة (الدينورى) سمى به لأنه يخبط بالعصا حتى ينتثر . غير أن المؤلف فى شرحه التالى أوضح ما ذهبنا إليه .

من ورق الشجر « نَحْر الظهيرة » : أى أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار ، والغالب فى الحَرّ القيلولة . « مُتَقَنِّعاً » : أى مُتَطَيْلِساً وسيأتى الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى فى أبواب لباسه صلى الله عليه وسلم . « فِدَى » : بكسر الفاء والقَصْر وفى رواية فِدَاء بالمَدّ . « الصحابة » : بالنَّصْب أى أريد أو أسألك المصاحبة ويجوز الرفع على أنه خَبَر مبتدا محذوف « أَمِنَّاه » : بكسر الميم . « أَحَثُّ » : بحاء مهملة فمثلثة أفعل تفضيل من الحَثّ وهو الإسراع وفى رواية أَحَبّ بالموحدة والأول أَصَحّ . « الجَهَاز » : بفتح الجيم أفصح من كسرها ، وهو ما يحتاج إليه المسافر . « ذات النِّطاق » : وفى رواية ذات النِّطاقين ـ بكسر النون ـ وهو ما يُشَدّ به الوسط ، وقيل هو ثوب تلبسه المرأة ، ثم تشد وسطها بحبل ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل . والمحفوظ فى هذا الحديث أن أسماء شَقَّت نِطاقها نصفين فَشَدَّت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر ، ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين ، فالتثنية والإفراد بهذين الاعتبارين . وعند ابن سعد أنها شَقَّت نِطاقَها فَأَوْكَتْ بقطعة منه الجِرَاب وشَدَّت فم القِرْبة بالباقى[1] فسميت ذات النطاقين . « الخَوْخَة » : بخاءين معجمتين مفتوحتين بينهما واو ساكنة : باب صغير . « ثور » : بالمثلثة . « الرَّصَد » : بفتحتين جمع راصد كخادم وخَدَم . « استبرأه » : يقال : استبرأتُ الشيء طلبتُ آخِرَه لقطع الشبهة عنى . « أَلْقَمَه الجُحْر » : الجحر بجيم فحاء مهملة : أى أدخله فيه . « العَقِب » : بعين مهملة مفتوحة فقاف مكسورة فموحدة : مُؤَخَّر الرِّجْل . « لَدَغَهُ » : بالدال المهملة والغين المعجمة : عَضَّه . « الرَّاءة » : وهى شجرة معروفة قال أبو حنيفة الدينورى هى من أَعْلاث الشَّجَر ـ بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وتُعْجَم ـ وتكون مثل قامة الإنسان ولها خيطان وزهر أبيض تُحْشَى به المخاد فيكون كالرِّيش [لخفته ولينه لأنه كالقطن][2] . قال فى النور : وغالب ظنى أن هذه الشجرة التى وصف أبو حنيفة أنها العشر[3] [كذا رأيتها][4] .

---

(١) لفظ ابن سعد (الطبقات حـ ١ ص ٢١٤) : فأوكت به الجراب وقطعت أخرى فصيرته عصاماً لفم القربة .

(٢) زيادة من الروض الأنف الذى نقل عنه المؤلف فى جـ٢ ص ٤ .

(٣) فى الأصول : العشار وأثبتنا رسم الكلمة كما أورده الزبيدى فى تاج العروس مادة روأ . والنص الذى نقله المؤلف نقله الزبيدى أيضاً .

(٤) زيادة من التاج .

بأرض بركة الحاج[1] خارج القاهرة [وهى تنفتق عن مثل قطن يشبه الريش فى الخِفَّة ورأيت من يجعله فى اللحف فى القاهرة[2]] . « فتيان » : جمع كثرة لِفَتى وهو الشابّ الحَدَث « الهَراوَى » بفتح الهاء جمع هِرَاوة[3] بكسرها . « ذرأ » : بمعجمة فمهملة فهمزة أى دفع . أَثَر : مُحَرَّكَة والأَثَر بقية الشيء أو الخَبَر[4] ، وخَرَج فى أَثَرِه بعده[5] . « الأَرَب » بالفتح الحاجة . « يَنْشَب » يَلْبَث[6] . « حُوّ » بالحاء المهملة والواو : جمع[7] . « الغار » نَقْبٌ فى الجَبَل . « الطَّرْف » : بفتح الطاء [المهملة] وسكون الراء[8] . « فالصِّدْقُ[9] » : أى ذوالصِّدْق وهو النبي صلى الله عليه وسلم . « لم يَرِما » بفتح أَوَّلِه وكَسْر ثانيه أى لم يَبْرَحا . « من أَرِم » أى أَحَد . « ظَنُّوا » : حَسِبُوا . « الحَمَام » : اسم جِنْس جمعى وَاحِدُه حَمَامة يقع على الذَّكَر والأُنثى . « البَرِيَّة » : بتخفيف الراء الخَلْق . « النَّسْج » : بالجيم الحياكة . « الحَوْم » : الطَّوَاف . « الوِقاية » : بكسر الواو الحِفْظ . أَغْنَتْ : أَجْزَأَتْ . « الدروع المُضَاعَفَة » :

---

(١) بركة الحاج هى قرية فى الشمال الشرقى للقاهرة بنحو خمس ساعات وفى غربى الترعة الإسماعيلية بنحو ستة كيلومترات وفى جنوب الخانقاه كذلك وفى شرق قرية المرج بنحو ثلاثة كيلومترات ويقال لها بركة الجب كما ذكرها المقريزى فى خططه فقال : بركة الجب هى بظاهر القاهرة . وسميت بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج فى كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون إلى القاهرة . وقد أفاض على مبارك فى تاريخ هذه القرية فى الخطط التوفيقية (ج ٩ ص ١٦ : ٢٢) حيث نقل ماكتبه المقريزى عنها وكذلك صاحب كتاب درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة هذا ويرجع ازدهارها إلى أنها كانت قبل شق ترعة السويس بداية الطريق البرى للحجاج القادمين من الديار المصرية .

(٢) تكملة النص الذى أورده المؤلف ونقله الزبيدى فى التاج وقد عقب عليه قائلا : قلت ليس هو العشر كما زعم بل شجر يشبهه . . وماذكره شيخنا هو الصحيح فإن الراء غير العشر وقد رأيت كليهما باليمن ومن ثمر كل منهما تحشى المخاد والوسائد إلا أن العشر ثمره يبدو صغيراً ثم يكبر حتى يكون كالباذنجانة ثم ينفتق عن شبه قطن وثمر الراء ليس كذلك والعشر لا يوجد بأرض مصر . . فهو من خواص أرض الحجاز وما يليها ، ومن ثمر الراء تحشى رحال الإبل وغيرها فى الحجاز .

(٣) الهراوة العصا الضخمة والجمع هراوى بفتح الواو مثال المطايا ، قاله فى الصحاح .

(٤) الخبر أعم من الأثر فى مصطلح الحديث فالأثر الحديث مرفوعاً أو موقوفاً .

(٥) « خرج فى أثره بعده » وردت فى القاموس المحيط ولفظه : ويقال خرج فى إثره (بكسر فسكون) وأثره (محركة) بعده وقال الزبيدى فى التاج : والثانى أفصح . ووقع فى شروح الفصيح بدله عقبه . والأثر محرك هو مايؤثر الرجل بقدمه فى الأرض وكذا كل شيء مؤثر أثراً ، يقال : جئتك على أثر فلان كأنك جئته تطأ أثره .

(٦) نشب ينشب من باب تعب : ما نشب أن قال كذا أى مالبث .

(٧) فى الأصول : « حوى » وفى النهاية (ج ١ ص ٢٧٣) الحو جمع أحوى .

(٨) الطرف النظر وفى التنزيل : « قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك »(سورة النمل آية ٤٠) والطرف بمعنى العين يطلق على الواحد وغيره وقد يثنى ويجمع .

(٩) فى بردة البوصيرى : فالصدق فى الغار والصديق لم يرما . . وهم يقولون ما بالغار من أرم .

٤١٦ ظـ المنسوجة حلْقَتَيْن حَلْقَتَيْن / تُلْبَس للحِفْظ من العَدُوّ . « الأُطُم » بضمتين الحصون[١] « المُنِيف » : العَالِى . « حِبُّ » رسول الله صلى الله عليه وسلم أى مَحْبُوبُه . « نَواجذُه » : بفتح النون وكسر الجيم وضَمّ الذال المعجمة جمع ناجذ وهو السِّنّ من الأَضْرَاس ويأْتى الكلام على ذلك فى باب ضَحِكِه وتَبَسُّمِه . « كَمِـنَا » : بفتح الكاف والميم ويجوز كَسْرُها[٢] أى اختفيا فيه . « ثَقِف » : بثاء مُثَلَّثَة مفتوحة فقاف مكسورة ويجوز إسكانها وضَمُّها ففاء أى فَطِن يُدْرِك حاجته بسرعة . « لَقِف » : بفتح اللام وكسر القاف ويجوز سكونها أى سريع الفهم « يَدَّلِج[٣] » بتشديد الدال المهملة بعدها جيم أى يخرج بسَحَر . « يُكَادَان » : وفى رواية يُكْتَادَان أى يُطْلَب لهما فيه المكروه وهو الكَيْد . « مِنْحَة[٤] » : بكسر الميم وسكون النون فحاء مهملة . « رِسْل » بكسر الراء بعدها مهملة ساكنة : اللَّبَن[٥] . « الرَّضِيف » : براء فضاد معجمة ففاء وزن رغيف اللَّبَن المرضوف الذى رُضِفَتْ فيه الحجارة المُحْمَاة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رَخَاوتُه[٦] ، وهو بالرفع ويجوز الجَرّ . « يَنْعِق » : بكسر العين المهملة أى يصيح بغَنَمه ، والنَّعْق هو صوت الراعى إذا زَجَر الغَنَم[٧] ، وفى رواية :

---

(١) : فى القاموس المحيط : الأطم بضمة وبضمتين القصر وكل حصن مبنى بحجارة وكل بيت مربع مسطح والجمع آطام . . وفى هذا ما يدل على أنه مفرد غير أن الجوهرى فى الصحاح قال بأن الواحدة أطمة مثل أكمة .

(٢) فى القاموس المحيط كمن له من باب نصر وكن له من باب سمع كوناً أى استخفى . وهى بمعنى الاستخفاء لم ترد فى المعجم الوسيط على أنهـا من باب سمع .

(٣) يجوز فيهـا تسكين الدال ولا وجه للتفرقة بين الإدلاج بتسكين الدال والادلاج بتشديدها على اعتبار أن الأول هو السير فى أول الليل والثانى السير فى آخره كما زعم صاحب القاموس وقد رد عليه الزّبيدى فى التاج منكراً هذه التفرقة حيث ساق حججاً كثيرة منهـا حديث النبى صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل » فلم يفرق فيه بين أول الليل وآخره .

(٤) فى الحديث : ويرعى عليهـا منحة من لبن أى غنم فيهـا لبن ، قاله فى النهاية (جـ ٤ ص ١١٠) .

(٥) فى الأصول : اللبن الطرى ولم نعثر على الطراوة كنعت من نعوت اللبن . انظر كفاية المتحفظ لابن الأجدابى (ص٦١ و٦٢ طبع حلب سنة ١٣٤٣ هـ) وكتاب النعم والبهائم والوحش لأبى محمد عبد الله بن مسلم الذى حقق نصه الأب بويج ونشره فى المجلد الثالث من مجلة الكلية الشرقية ببيروت سنة ١٩٠٨ م ص ٢٨ : ٣٤ . وفى النهاية (جـ ٢ ص ٨٠) الرسل هو اللبن ومن معانى الرسل الرفق والتؤدة يقال افعل كذا على رسلك أى اتئد ولا تعجل . وفى الصحاح أرسل القوم أى صار لهم اللبن من مواشيهم .

(٦) لفظ ابن الأثير فى النهاية : ليذهب وخمه . والرضف الحجارة المحماة على النار واحدتهـا رضفة .

(٧) ينعق ، بفتح العين أيضاً فى القاموس المحيط نعق بغنمه كمنع وضرب نعقاً ونعيقاً ونعاقاً ونعقاناً صاح بهـا وزجرها .

يَنْعِقُ بهما بالتثنية أى يُسْمِعُهُمَا صوْتَه إذا زجَرَ غَنَمَه . « الدِّيل[1] » : بكسر الدال المهملة وسكون التحتية . « الخِرِّيت[2] » : بكسر الخاء المعجمة وتشديد الراء فمثناة تحتية ساكنة فمثناة فوقية ، وهو الماهر بهداية الطريق . « العُتْبَى » : بضم العين المهملة الرِّضَا[3] . « بوائق الدَّهْر » : غوائلُه وشروره واحدُها بائقة وهى الداهية[4] . « قائمُ الظَّهِيرة » : أى نصف النهار ، سُمِّىَ قائماً لان الظِلّ لا يظهر حينئذ فكأنه واقف . « رُفِعَتْ لنا صَخْرَة » : أى ظهرت . « الفَرْوَة » معروفة ويقال فيها فَرْو بحذف الهاء وهو الأشهر فى اللغة ولا يتجه أن يكون المُرَادُ بها الفَرْوَة من الحشيش لقوله : كانت معى[5] . « وأنا أَنْفُضُ لَكَ ما حَوْلَك »[6] أَنْفُضُ بفتح الهمزة وسكون النون وضَمّ الفاء بعدها ضاد معجمة ، أى أَتَحَسَّسُهُ وأَتَعَرَّفُ ما فيه مِمَّن تَخَافُهُ قاله فى التقريب وفى النهاية أى أحرسك وأطوف هل أرى طلباً . « لِرَجُل من المدينة أو مكة » : شك فى ذلك أحمد بن يزيد ، ورواه مسلم من طريق الحسن ابن محمد بن أعين[7] عن زهير[8] فقال فيه : « لرجل من أهل المدينة » ، ولم يَشُكّ .

---

(١) فى العرب بنو الديل والدول والدئل فالدول من حنيفة والدئل من بنى بكر بن كنانة منهم أبو الأسود الدئلى . واشتقاق اسم الديل كما ذكره أبن دريد فى كتابه الاشتقاق (ص ٣٢٥) هو من دال يديل وهذا إما من قولهم اندال الشىء إذا تعلق وتحرك ومن الديلة وهو تعاور القوم الشىء .

(٢) الخريت الحاذق واشتقاقه من خرت الإبرة أى أنه من حذاقته يدخل فى خرت الإبرة أى يدخل فى ثقبها قاله ابن دريد فى الاشتقاق (ص ١٠٩) .

(٣) العتبى الرضا يقال : يعاتب من ترجى عنده العتبى أى يرجى عنده الرجوع عن الذنب والإساءة ، عن المعجم الوسيط.

(٤) كما فى الحديث : لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه أى غوائله وشروره عن النهاية .

(٥) فى الصحاح : الفرو هو الذى يلبس والجمع الفراء والفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة ووردت بالمعنى الأول فى حديث الهجرة .

(٦) لفظ ابن الأثير فى النهاية (ج ٤ ص ١٦٥) : أى أحرسك وأطوف هل أرى طلباً ، يقال نفضت المكان واستنفضته وتنفضتم إذا نظرت جميع ما فيه والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدواً أو خوفاً .

(٧) هو الحسن بن محمد بن أعين مولى بنى مروان أبو على الحرانى روى عن عمه موسى وفضيل بن غزوان وروى عنه سلمة بن شبيب وأحمد بن سليمان الرهاوى وثقه ابن حبان وقال أبو عروبة توفى سنة ٢١٠ هـ . انظر خلاصة الخزرجى ص ٦٨.

(٨) هو زهير بن معاوية بن حديج أبو خيثمة الكوفى محدث الجزيرة روى عن الأسود بن قيس وأبى إسحق وحميد الطويل وطبقتهم وروى عنه الحسن بن موسى الأشيب وأبو نعيم وأبو جعفر النفيلى وآخرون . وقال الإمام أحمد : زهير من معادن العلم . توفى سنة ١٧٣ هـ انظر تذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ص ٢١٤ : ٢١٥ .

ووقع فى رواية ابن جُرَيْج[1] :« فَسَمَّى رجلاً من أهل مكة » ، ولم يَشُكّ » . قال الحافظ : « والمراد بالمدينة مكة ، ولم يُرِدْ المدينة النبوية لأنها حينئذ لم تكن تسمى المدينة ، وإنما كان يُقَال لها يَثْرِب . وأيضاً لم تَجْرِ العادة للرُّعَاة أن يُبْعِدوا فى الرعى هذه المسافة البعيدة . ووقع فى رواية إسرائيل[2] فقال : « لِرَجُلٍ من قريش سَمَّاه فعرفتُه » ، وهذا يؤيد ما قررته لأن قريشاً لم يكونوا يسكنون المدينة النبوية » « أفى غنمك لَبَن ؟ » بفتح اللام والموحدة ، وحكى القاضى أن فى روايةٍ لُبَّن ، بضم اللام وتشديد الموحدة جمع « لابنٍ » أى ذات لَبَن . « العَنَاق » : بفتح العين المهملة : الأُنثى من المعز : « فأَخَذْتُ قدحاً فَحَلَبْتُ » : وفى رواية : « أَمَرْتُ الراعى فحلب » ، ويُجْمَع بأنه يجوز فى قوله « فَحَلَبْتُ » : مراده أَمَرْتُ بالحَلْب . « كُثْبَة » : بضم الكاف وسكون المثلثة وفتح الموحدة أى قَدْر قَدَح ، وقيل : حَلْبَة خفيفة . « بَرَد أَسْفَلُه » : بفتح الراء على المشهور وقال الجوهرى بضمها[3] .

شرح قِصَّة أُم معبد رضى الله عنها

« الخزاعية » : بضم الخاء المعجمة فزاى فعين مهملة . « بَرْزَة » : يقال امرأة بَرْزَة إذا كانت كهلة لا تَحْتَجِب احتجاب الشوابّ وهى مع ذلك عفيفة عاقلة تجلس للناس

---

(١) هو الإمام الحافظ فقيه الحرم عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الرومى الأموى مولاهم المكى الفقيه صاحب التصانيف حدث عن أبيه ومجاهد وعطاء بن أبى رباح وميمون بن مهران ونافع والزهرى وخلق كثير ، ولد سنة نيف وسبعين وأدرك صغار الصحابة وروى عنه السفيانان (الثورى وابن عيينة) ومسلم بن خالد وابن علية وروح ووكيع وعبد الرزاق وغيرهم . وقال الإمام أحمد : كان من أوعية العلم توفى سنة ١٥٠ هـ انظر تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٦٠ : ١٦٢ .

(٢) هو إسرائيل بن يونس بن أبى إسحق السبيعى الإمام الحافظ أبو يوسف الكوفى روى عنه ابن مهدى وأبو نعيم والفريابى وعلى بن الجعد وخلق كثير كان حافظاً حجة صالحاً خاشعاً من أوعية العلم احتج به الشيخان توفى سنة ١٦٢ هـ تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ١٩٩ : ٢٠٠ .

(٣) أوضح ذلك الفيومى فى المصباح بقوله : برد الشيء يبرد برودة مثل سهل سهولة إذا سكنت حرارته ، وهذا ما نقله المؤلف عن الصحاح للجوهرى . وأما برد يبرد برداً من باب قتل فيستعمل لازماً ومتعدياً يقال برد الماء وبردته وهذه العبارة تكون من كل ثلاثى يكون لازماً ومتعدياً .

٤١٧ و

وتُحَدِّثُهم / ، من البروز وهو الظهور[١] . « جَلْدَة[٢] » : إما قوية وإما عَاسِيَة[٣] . « الفِنَاء[٤] » سِعَة أمام البيت ، وقيل ما امْتَدَّ من جوانبه . « تَسْقِى » : تُنَاوِلهُم السَّقْىَ ليشربوا منه . « مُرْمِلُون » : بضم الميم وسكون الراء ، نَفَدَ زَادُهم وأصله من الرَّمْل كأنهم لَصِقوا بالرَّمْل كما قيل للفقير التَّرِب بفتح التاء وكَسْر الراء[٥] . « مُسْنِتون » : بكسر النون والمثناة الفوقية ، أى أَجْدَبُوا أى أصابتهم سَنَة[٦] وهى القَحْط يقال أَسْنَتَ فهو مُسْنِت إذا أجدب . « أَعْوَزَنَا كم » : أَحْوَجَنَا كُمْ . « كِسْر الخَيْمة » : بفتح الكاف وكَسْرِها وسكون المهملة ، أى جانبها ، ولكل بيت كِسْرَان عن يمين وشِمَال . « كِفَاءُ البيت » : قال فى القاموس : الكِفَاءُ ككِتاب سُتْرَةٌ من أعلى البيت إلى أسفله من مُؤَخَّره أو الشُّقَّة فى مُؤَخَّر الخِبَاء أو كِسَاءٌ يُلْقَى على الخِباء حتى يَبْلُغَ الأَرْض وقد أكفأْتُ البَيْتَ[٧] . «الجُـهْد» : بالفتح ويُضَمّ : الطَّاقة ، وقيل بالفتح المشقة وبالضم الطاقة والمراد هنا الهُزَال[٨] . « ضَرَبَها فَحْل » : أَلْقَحَها . « شَأْنَك » : منصوب ، أى أَصْلِحْ شَأْنَك ، أو نحو هذا ، فهو مفعول بِفِعْل مُقَدَّر . «فَفَاجَّتْ» : بالمد وتشديد الجيم فتحت ما بين رِجْلَيْها للحَلْب[٩] . « يُرْبِض » : بضم المثناة التحتية فراء

---

(١) فى التاج : قال أبوعبيدة امرأة برزة جليلة تبرز للقوم يجلسون إليها وهى مع ذلك عفيفة موثوق برأيها وعفافها وقيل البرزة من النساء التى ليست بالمتزايلة التى تزايلك بوجهها تستره عنك وتنكب إلى الأرض والمخرمقة التى لاتتكلم إن كلمت .

(٢) فى شرح السيرة للخشنى : جلدة أى جزلة وصفها بالجزالة (جـ ١ ص ١٣٠) .

(٣) فى القاموس المحيط : عسا الشيخ يعسو عسوا وعسوا وعسيا وعساء وعسى عسى ، كبر . وفى النهاية (جـ ٣ ص ٩٦) : عسا بالسين المهملة أى كبر وأسن . وعلى ذلك فعاسية أو مسنة .

(٤) قبل كلمة الفناء نسى المؤلف أن يشرح كلمة « تحتبى بفناء قبتها » . وفى النهاية (جـ ١ ص ١٩٩) ؛ الاحتباء هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب ، ويقول الخشنى : الاحتباء أن يبسط الرجل أصابع يديه ويجعلها على ركبتيه إذا قعد ، وقد يحتبى بحمائل سيفه .

(٥) يرى الجوهرى فى الصحاح أن مرملين مأخوذ من الرمل – محركة – والرمل القليل من المطر ويقال أرمل القوم إذا نفد زادهم وعام أرمل أى قليل المطر وسنة رملاء ، عن ابن السكيت .

(٦) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٨٨) . السنة الجدب يقال أخذتهم السنة إذا أجدبوا وأقحطوا وهى من الأسماء الغالبة نحو الدابة فى الفرس والمال فى الإبل وقد خصوها بقلب لامها تاء فى أسنتوا إذا أجدبوا . ويقال سنة سنهاء ، أى لا نبات بها ولا مطر وهى لفظة مبنية من السنة كما يقال ليلة ليلاء ويوم أيوم .

(٧) فى شرح الزبيدى لعبارة القاموس قال : أكفأت البيت إكفاء وهو مكفأ إذا عملت له كفاء . وجمع كفاء أكفئة كحمار وأحمرة .

(٨) فى المصباح الجهد بالضم فى الحجاز وبالفتح فى غيرهم الوسع والطاقة وقيل المضموم الطاقة والمفتوح المشقة . والجهد بالفتح لا غير : النهاية والغاية وهو مصدر من جهد فى الأمر جهداً من باب نفع إذا طلب حتى بلغ غايته فى الطلب . وجهده الأمر والمرض جهدا أيضا إذا بلغ منه المشقة .

(٩) التفاج المبالغة فى تفريج ما بين الرجلين وهو من الفج الطريق ، قاله فى النهاية (جـ ٣ ص ١٨٤) .

ساكنة فَمُوَحَّدَة مكسورة فضاد معجمة . قال فى النهاية[1] : أى يُرْوِيهم ويُثْقِلُهُمْ حتى يناموا ويمتدوا على الأَرض ، من رَبَض فى المكان يَرْبِضُ إذا لَصِقَ به وأَقام ملازماً له ، يقال أَرْبَضَتْ الشمسُ إذا اشْتَدَّ حَرُّها حتى تَريضَ الوَحْش فى كِنَاسِها ، أى تجعلها تَرْبِضُ فيه ويُرْوَى[2] بمثناة تحتية بعد الراء : [يُرِيضُ الرَّهْطَ] أى يُرْوِيهم من أَرَاضَ الحَوْضَ إذا صَبَّ فيه من الماء ما يُوَارى أَرْضَه . والرَّوْضُ نحو من نصف قِرْبَة[3] . « الرَّهْطَ » : بسكون الهاء وفتحها [ما] دون العشَرة من الرجال ليس فيهم امرأَة أَو منها إلى الأَربعين[4] . « ثَجّاً » : أى لبناً سائلاً كثيراً[5] . « عَلاَهُ البهاء » : أى علا الإِناء بهاء اللبن وهو بريق[6] رَغْوَتِه ، وفى رواية : الثُّمَال بضم المثلثة الرَّغْوَة[7] . « العَلَل[8] » : بفتح العين المهملة ولامَيْن الأُولى مفتوحة الشُّرْب الثانى . « النَّهَل » بفتح النون والهاء وتُسَكَّن وباللام الشُّرْب الأَول . « غَادَرَهُ » : بالغين المعجمة تَرَكَهُ[9] . « الصَّبُوح[10] » : بفتح المهملة وبالموحدة ما يُشْرَب بالغداة فما دون القائلة . « والغَبُوق[11] » : بفتح الغين المعجمة الشرب بالعَشِيّ . « الحِيال » :

---

(١) جـ ٢ ص ٥٨ و ٥٩ .

(٢) فى النهاية جـ ٢ ص ١١١ حيث علق ابن الأثير على الخلاف بين يربض ويريض بقوله : والرواية المشهورة بالباء (الموحدة) ولكنه أورد الرواية الأخرى فى حديث أم معبد : فشربوا حتى أراضوا أى شربوا عللا بعد نهل مأخوذ من الروضة وهو الموضع الذى يستنقع فيه الماء ، وقيل معنى أراضوا صبوا اللبن على اللبن . وربضت الغنم وغيرها من الدواب تربض ربضا وربوضا ، من باب ضرب ، أى طوت قوائمها ولصقت بالأرض . وأربضت الشمس اشتد حرها حتى تربض الدواب من شدته وأربض الراعى الغنم جعلها تربض .

(٣) فى الأصول : نحو من ضمن قربة والتصويب من النهاية .

(٤) فى المصباح : الرهط ما دون عشرة من الرجال ليس فيهم امرأة وسكون الهاء أفصح من فتحها . ورهط الرجل قومه وقبيلته .

(٥) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٢٥) : أفضل الحج العج والثج « الثج سيلان دماء الهدى والأضاحى يقال ثجه ثجا . (من باب نصر) .

(٦) فى الأصول : « وبيض » وآثرنا عبارة النهاية وفى الخشنى : البهاء هنا بريق الرغوة ولمعانها .

(٧) فى النهاية (جـ ١ ص ١٣٤) فى حديث أم معبد : فحلب فيه ثجا حتى علاه الثمال . الثمال هو بالضم الرغوة واحده ثمالة .

(٨) فى الصحاح العلل سقى بعد سقى والنهل الشرب الأول وخالف الخشنى ما ورد فى المعاجم فزعم أن النهل هو الشرب الثانى (شرح السيرة جـ ١ ص ١٣١) .

(٩) أضاف الخشنى وفيه سمى الغدير لأن السيل غادره أى تركه .

(١٠) وفى المصباح : اصطبح أى شرب صبوحاً .

(١١) غبقه يغبقه غبقا من باب ضرب سقاه غبوقاً والغبقة المرة منه .

جَمْع حائل وهى التى لم تَحْمِلْ . « عِجَافًا[1] » : بكسر العين المهملة جمع عَجْفَاء وهى المهزولة من الغَنَم [وغيرها[2]] . « الشَّاء » جمع شاة[3] . « عازب » : بعين مهملة فزاى فموحدة أى بعيدة المَرْعَى لا تأْوى إلى المنزل فى الليل . « لا حلوب[4] فى البيت » : أى لا شاة تُحْلَب . « الوَضَاءة » : بفتح الواو وبالضاد المعجمة والهمزة : الحُسْن والبهجة[5] . « أَبْلَج[6] الوجه » : بالموحدة وبجيم أى مُشْرِقُهُ مُسْفِرُهُ ، ومنه تَبَلَّج الصبح وانْبَلَج . فأَما الأَبْلَج فهو الذى قد وَضَحَ ما بين حاجبيه فلم يَقْتَرِنا ، والاسم البَلَج بفتح اللام ، ولم تَرِدْ هذا أُم معبد لأَنها قد وصفته [فى حديثها] بالقَرَن[7] . « الأَشْفَار » : جمع شُفْر بضم الشين المعجمة وقد تُفْتَح وهو طرف جَفْن العَيْن الذى يَنْبُت عليه الشَّعْر ، والمراد هنا الشَّعْر النابت[8] . « الوَطَف[9] » : بفتح الواو والطاء المهملة وبالفاء . الطول ، فمعنى الكلام أن فى شعر أَجْفَانه طولاً ، قال فى الإملاء : يُرْوَى الغَطَف[10] والعَطَف بالغين المعجمة والعين المهملة ، فمعناه بالمعجمة مثل معنى الوَطَف ، وأما بالمهملة فلا معنى لها[11] ، وقد فَسَّره بعضهم فقال :

---

(١) فى الصحاح : العجف بالتحريك الهزال والأعجف المهزول . والأنثى عجفاء والجمع عجاف على غير قياس لأن أفعل وفعلاء لا يجمع على فعال ولكنهم بنوه على سمان والعرب قد تبنى الشيء على ضده كما قالوا عدوة بناء على صديقة . وفعول إذا كان بمعنى فاعل لا تدخله الهاء .

(٢) زيادة من النهاية لأن الكلمة تطلق أيضا على غير الغنم .

(٣) الشاة الواحدة من الضأن والمعز وغيرها يقال للذكر والأنثى والجمع شاء « وشياه .

(٤) زاد الخشنى : وقد تكون الحلوب واحدا وقد يكون جمعا .

(٥) فى شرح السيرة للخشنى (جـ ١ ص١٣١) : الوضاءة حسن الوجه ونظافته ومنه اشتقاق الوضوء . والزبيدى فى التاج أكد هذا الاشتقاق بقوله : وأصل الوضوء من الوضاءة وهى الحسن .

(٦) فى الأصول .. مبلج الوجه وأثبتنا لفظ ابن الأثير فى النهاية .

(٧) فى المصباح : بلج الصبح بلوجاً من باب قعد أسفر وأنار ، ومنه قيل بلج الحق إذا وضح وظهر ، وبلج بلجاً من باب تعب لغة . واسم الفاعل من الثانية أبلج وحجة بلجاء وابتلج الصبح بمعنى بلج ، وأبلج بالألف كذلك .وفى الأساس (جـ ١ ص ٦٠) يقال (مجازا) للرجل الطلق الوجه ذى الكرم والمعروف وهو أبلج وإن كان أقرن .

(٨) فى المصباح شفر العين حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدب . قال ابن قتيبة : والعامة تجعل أشفار العين الشعر وهو غلط وإنما الأشفار حروف العين التى ينبت عليها الشعر ، والشعر الهدب والجمع أشفار مثل قفل وأقفال .

(٩) والفعل : وطف يوطف وطفا – من باب فرح – كثر شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاء وطول . فهو أوطف وهى وطفاء .

(١٠) فى القاموس المحيط الغطف محركة طوال الأشفار وتثنيتها أو كثرة شعر الحاجب غير أن ابن دريد فى الاشتقاق (ص ٢٦٩) يفسر الغطف بقلة هدب العين .

(١١) عبارة المؤلف هنا « ابتداء من كلامه على العطف بالعين المهملة نقله عن الخشنى فى شرح السيرة (جـ ١ ص ١٣٢) غير أن الفيروز أبادى فى القاموس يقول بأن العطف بالعين المهملة ومحركة : طول الأشفار .

هو أن تطول أشفار العَيْن حتى تنعطف[1] . « الدَّعَج » : بفتح الدال والعين المهملتين وبالجيم والدَّعْجَة بإسكان العين : السواد فى العَيْن يريد ـ والله أعلم ـ أن سواد عينه شديد السواد[2] . « الصَّحَل »[3] : بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام وهو كالبُحَّة وألا يكون حَادّ الصوت[4]، يقال منه صَحِل الرَّجُلُ بالكسر يَصْحَلُ بالفتح صَحَلاً بفتحتَيْن إذا صار أَبَحّ فهو صَحِل وأَصْحَل . « ولا يَشْنَؤُهُ » : بالشين المعجمة والنون وقبل هاء الضمير همزة مضمومة : أى
٤١٧ ظ لا يبغضه / لِفَرْطِ طوله ـ ويُرْوَى لا يُتَشَنَّى من طول ، أبدل الهمزة ياءً ، يقال شنئته أشنؤه [شَنأً[5]] وشنآناً[6] . « ولا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ من قِصَر » ، أى لا تتجاوزه إلى غيره احتقاراً[7] له ، وكل شىء ازْدَرَيْتَه فقد اقْتَحَمْتَه « لم تَعِبْهُ ثُجْلَة » : الثُّجْلَة : بضم الثاء المثلثة ثم جيم ساكنة ثم لام مفتوحة هى عِظَم البطن[8] وسعته ، ويُرْوَى بالحاء المهملة والنون أى نحولٌ ودِقَّة . « لم تُزْرِ به » : أى لم تُقَصِّر[9] . « صَعْلَة » : بفتح الصاد وإسكان العين المهملتين ، والصَّعْلَة صِغَر الرأس وهى أيضاً الدِّقَّة والنحول فى البدن[10] . وفى رواية لم تُزْرِ به صُقْلَة بالقاف أى دِقَّة ونحول[11] وقيل أرادت أنه لم يكن مُنْتَفِخَ الخاصِرة

---

(١) لم يشرح المؤلف كلمة نحلة فى حديث أم معبد حيث جاء فيه لم تعبه نحلة . أى دقة وهزال وقد نحل جسمه نحولا والنحل الاسم وقال ابن قتيبة لم أسمع بالنحل فى غير هذا الموضع . انظر النهاية (ج ٤ ص ١٣١) .

(٢) الدعج والدعجة السواد فى العين يريد أن سواد عينيه كان شديد السواد وقيل الدعج شدة سواد العين فى شدة بياضها . وفى المصباح الدعج سعة مع سواد والرجل أدعج والمرأة دعجاء والجمع دعج مثل أحمر وحمر .

(٣) فى شرح السيرة الصحل محركة البحح بحاءين مهملتين (والأخيرة مصحفة بالجيم فى كتاب الخشنى) يريد أنه ليس بحاد الصوت .

(٤) فى القاموس المحيط صحل صوته كفرح فهو أصحل وصحل بح أو احتد فى بحح . وأورد الفيروزابادى من معانى الصحل محركة خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم . وليس هذا مراداً فى الحديث .

(٥) زيادة من النهاية التى نقل عنها المؤلف .

(٦) شنئته أشنؤه من باب تعب شنأ (تكتب أيضا شنئاً) شنآناً أبغضته وفى الصحاح : شنآناً بالتحريك والتسكين وقرئ بهما قوله تعالى : شنآن قوم ، وهما شاذان فالتحريك شاذ فى المعنى لأن فعلان إنما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالغليان والخفقان والتسكين شاذ فى اللفظ لأنه لم يجىء شىء من المصادر عليه .

(٧) هذا لفظ ابن الأثير فى النهاية وفى ت و م . إصداراً والمعنى واحد .

(٨) زاد الخشنى . يقال بطن أثجل إذا كان عظيما .

(٩) فى الصحاح الإزراء التهاون بالشىء .

(١٠) والفعل من باب تعب : صعل يصعل صعلا كان دقيق الرأس والعنق فهو أصعل وهى صعلاء والجمع صعل ـ بضم الصاد وتسكين العين ـ ويقال للنعام صعل ـ أيضا ـ .

(١١) الصقلة الضمور .

[جِدّاً[1]] ولا ناحِلاً [جِدّاً[1]] ، ويُرْوَى بالسين على الإبدال من الصاد . قال أبو ذَرّ [الخُشَنِى] : الصَّقْلَةُ جِلْدةُ الخاصِرة [تريد أنه ناعم الجسم ضامر الخاصِرَة وهو من الأَوصاف الحسنة[2]] . « الهاتف » : الصائح[3] . « أَبو قُبَيْس » : بضم القاف وفتح الموحدة فمثناة تحتية ساكنة : جَبَلٌ بمكة معروف سُمِّىَ باسم رجل من مَذْحِج حَدَّاد لأَنه أَول مَنْ بَنَى فيه[4] . وكان أَبو قُبَيْس الجبل هذا يسمى الأَمين لأَن الركن [أَى الحجر الأَسود] كان مستودعاً فيه . « قَالَا » : من القيلولة وهى نصف النهار[5] . « الهَدْى[6] » : بفتح الهاء وإسكان الدال المهملة والهَدْى الطريق ، ولا يصح ضمها للوزن[7] ، ويعنى بالطريق الطريق الموصلة إلى الجنة « قُصَىّ » : بضم القاف وفتح الصاد المهملة وتشديد التحتية : تقدم الكلام عليه فى النسب . « ما زَوَى » : بفتح الزاى والواو : أَى جَمَعَ وقَبَض « من فَعَال[8] » : الظاهر أَنه بفتح الفاء وتخفيف العين وهو الكَرَم ، ويجوز أَن يكون بكسر

---

(١) زيادة من النهاية (جـ ٢ ص ٢٦٩) .

(٢) زيادة من كتاب شرح السيرة للخشنى الذى نقل عنه المؤلف . هذا وقد أغفل المؤلف شرح بقية الغريب فى حديث أم معبد ونجمله فيما يلى نقلا عن الخشنى وابن الأثير .

فى عنقه سطع أى إشراف وطول يقال عنق سطعاء إذا أشرفت وطالت . فى لحيته كثاثة : الكثاثة دقة نبات شعر اللحية مع استدارة فيها . أزج أقرن : الزجج دقة شعر الحاجبين مع طولهما والقرن أن يتصل ما بينهما بالشعر . علاه البهاء : البهاء حسن الظاهر فصل لا نزر ولا هذر : الفصل الكلام البين والنزر الكلام القليل والهذر الكلام الكثير ، أرادت أن كلامه ليس بقليل فينسب إلى العى ولا بكثير فينسب إلى التزيد . لا بأس من طول : أى ليس يبعد من الطوال . وقال ابن قتيبة : أحسبه ولا بائن من طول يريد أن طوله ليس بمفرط . أنضر الثلاثة : أى أنعم الثلاثة من النضرة وهو النعيم محفود محشود لا عابس ولا مفند : المحفود الذى يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته ، يقال حفدت وأحفدت فأنا حافد ومحفود ، وحفد وحفدة جمع حافد كخدم وكفرة . ومحشود إذا كان الناس يخفون لخدمته لأنه مطاع فيهم قاله الجوهرى فى الصحاح . ولا معتد أى غير ظالم .

(٣) فى الخشنى : قول القائل من الجن فى شعره .

(٤) أبو قبيس كما فى معجم البلدان لياقوت (جـ ١ ص ٩٤ : ٩٥) هو اسم الجبل المشرف على مكة وجهه إلى قعيقعان ومكة بينهما أبو قبيس من شرقيها وقعيقعان من غربيها . هذا وقد نقل المؤلف عبارة القاموس وزاد عليها شارحه بما نقله عن السهيلى فى الروض عن سبب تسميته أبا قبيس وهو اسم رجل من جرهم هرب فيه من عمرو بن مضاض وانقطع خبره فسمى الجبل باسمه .

(٥) أى نزلا فى خيمتى أم معبد عند القائلة إلا أنه عدى الفعل بغير حرف جر .

(٦) الهدى بفتح الهاء وسكون الدال المهملة ما يهدى إلى الحرم من النعم بيد أن معناها هنا الهداية والسيرة والطريقة .

(٧) ضبطت خطأ : الهدى فى كل من شرح السيرة للخشنى (جـ ١ ص ١٢٩ وبهذا الشرح تصحيفات وأخطاء كثيرة) وشرح ديوان حسان (القاهرة سنة ١٩٢٩ م ص ٨٦) .

(٨) روى عجز البيت الذى وردت فيه كلمة فعال : به من فخار لا يبارى وسؤدد .

الفاء جمعاً . « لا يُجَارَى » : بالراء وفى رواية : يُجَازى بالزاى . « السُّودَد » : بضم السين وإسكان الواو ، يقال سَادَ قَوْمَه سيادةً وسُودَدًا وهو مصدر . « الصريح » : بالصاد والحاء المهملتين وهو اللَّبَن الخالص الذى لم يُمْذَق[1] . « الضَّرَّة » : بفتح الضاد المعجمة وتشديد الراء والمثناة الفوقية أصل الضَّرْع . « مُزْبِد » : بضم الميم وإسكان الزاى فموحدة مكسورة فدال مهملة أى علاه الزَّبَد[2] . « غادرها » : بالغين المعجمة والدال المهملة : تركها . « فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدٍ » : أى يحلبها مرةً ثم أخرى .

شرح شعر حَسَّان بن ثابت رضى الله عنه

« قُدِّس » : بضم القاف وكسر الدال المهملة المشددة وبالسين المهملة مبنى للمفعول أى طُهِّرَ . « يَرْشُدِ » : بضم الشين المعجمة وبفتحها كنصَرَ يَنْصُر وفرِح يَفْرَح ، والمصدر رُشْداً ورَشَداً ورشاداً[3] أى يهتدى . « بِأَسْعُد » : بضم العين ، جمع سَعْد جمع قِلَّة . « سعَادةُ » : بالرفع فاعل يَهْنَأ ، وأبو بكر مفعوله . « جَدِّه » : بفتح الجيم وهو حظه . « مَنْ يُسْعِد الله يُسْعَدِ » : يجوز أن يكون مبنياً للفاعل وللمفعول أيضاً . « عُظْم الحَىّ[4] » : بضم أوَّلِه وسكون ثانيه أى أكثره . « القِرَى » : بكسر القاف[5] . « مُتَنَحِّياً » : مُنْفرِداً . « الشَّفْرَة[6] » : بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء وفتح الراء : المُدْيَة وهى السِّكِّين العريض

---

(١) الصريح هنا اللبن الخالص قاله الحشنى ، ويمذق من مذقت اللبن بالماء مذقا من باب قتل مزجته وخلطته فهو مذيق قاله فى المصباح .

(٢) الزبد محركة من الماء والبحر واللبن وغيرها الرغوة وفى المثل : قد صرح المحض عن الزبد ، يضرب للامر إذا انكشف وتبين ، عن المعجم الوسيط ، ومزبد أى علاه الزبد وهو نعت للصريح .

(٣) أورد أبو البقاء الكفوى فى كتابه الكليات (بولاق سنة ١٢٨١ هـ ص ١٩٦) فروقا طريفة فى معانى مصدر فعل رشد فالرشد (بضم الراء) هوالاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه (وهذا هوتعريف الفيروزابادى) وغالب استعماله للاستقامة بطريق العقل ويستعمل للاستقامة فى الشرعيات أيضا ويستعمل استعمال الهداية . وقيل الرشد أخص من الرشد محركة فإن الرشد (بضم الراء) يقال فى الأمور الدنيوية والأخروية والرشد محركة فى الأمور الأخروية لاغير ، والإرشاد أعم من التوفيق لأن الله أرشد الكافرين بالكتاب والرسول ولم يوفقهم .

(٤) ابتداء من هذه الفقرة إلى نهايتها لا يتعلق بشرح الغريب فى أبيات حسان بن ثابت .

(٥) من قرى الضيف يقريه قرى وقراء أضافه وأكرمه . وهناك فى هذه المادة لفظة أخرى وردت فى حديث أم معبد أغفل المؤلف شرحها جاء فى النهاية (ج٣ ص ٢٥٠ : ٢٥١) أن أم معبد أرسلت إليه بشاة وشفرة فقال : اردد الشفرة وهات لى قروراً ، يعنى قدحا من خشب .

(٦) الشفرة ما عرض وحدد من الحديد كحد السيف والسكين وغيرهما .

والجمع شِفَار مثل كَلْبَة وكِلاَب وشَفْرَات مثل سَجْدَة وسَجْدَات . « الجَلَب » : بفتح الجيم واللام ما يُجْلَبُ من بلدٍ إلى بلد . « الأَقِط[1] » : ككَتِف ويُسَكَّن مُثَلَّث الهمزة : شيءٌ يُتَّخَذ من اللبن المَخِيض ، قال ابن الأَعرابى : من أَلبان الغَنَم خاصَّةً .

شَرْحُ قِصَّة سُرَاقة بن مالك رَضِىَ الله عنه

« مُدْلِج[2] » : بضم الميم . « أَسْوِدَة » : جمع سَوَاد وهو الشخص[3] . « رَكَبَة » : بفتح الراء والكاف أَقَلّ من الرَّكْب وهو عشرة فما فوقها وهم أَصحاب الإبل ، والأُرْكُوب أَكثر من الرَّكْب والرُّكْبَان[4] الجماعة منهم . « أُرَاها » : بضم الهمزة أَى أَظُنُّها . الأَكَمَة : بفتح الهمزة والكاف والميم : الرَّابِية . « فَخَطَطْتُ به » بالخاء المعجمة وفى رواية بالحاء المهملة أَى [أَمسكت بأَعلاه وجعلتُ[5]] أَسفله [فى الأَرض[6]] . الزُّجّ : بضم الزاى بعدها جيم : الحَدِيدة التى فى أَسفل الرُّمْح . « خَفَضْتُ عالِيَه » : أَى أَمسكه بيده وجَرَّ رمحه لئلا يظهر بريقه لمن بَعُد منه ، لأَنه كَرِه أَن يَتْبَعَه منهم أَحد فيَشْرَكه فى الجَعَالة . « دَفَعْتُها » : بتخفيف الفاء يقال : دَفَعَ الفَرَسَ فى السَّيْر إذا بالغ ودَفَعه يَتَعَدَّى ولا يَتَعَدَّى . « تُقَرِّبُ بى » : التقريب السَّيْر / دون العَدْو وفوق العادة[7] وقبل أَن ترفع الفَرَسُ يَدَيْهَا معا وتضعهما معاً[8]. ٤١٨ و

---

(١) الأقط كما فى النهاية (ج ١ ص ٣٦) هو لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به .

(٢) مدلج من الدلجة فعلة من الدلج وهو السير ليلا وقد سمت العرب مدلجا وهو أبو بطن منهم ، عن الاشتقاق لابن دريد (ص ١٩٥) .

(٣) سواد وأسودة كزمان وأزمنة .

(٤) فى القاموس المحيط : الركب ركبان الإبل اسم جمع وهم العشرة فصاعدا وقد يكون للخيل وجمع ركب أركب وركوب والركبة محركة أقل والأركوب بالضم أكثر من الركب والركاب ككتاب الإبل واحدتها راحلة وجمع ركاب ركب ككتب وركابات وركائب والركاب من السرج كالغرز من الرحل .

(٥) بياض بقدر نحو ثلاث كلمات والتكملة من السيرة الحلبية (طبعة القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ ج ٢ ص ٤٢) .

(٦) زيادة من السيرة الحلبية .

(٧) هكذا فى الأصول .

(٨) شرح ابن الأثير فى النهاية كلمة يقرب فى حديث الهجرة : « أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى » فقال : قرب الفرس يقرب تقريباً إذا عدا عدوا دون الإسراع وله تقريبان أدنى وأعلى . ولكن المؤلف شرح التقريب بأنه نوع من عدو الفرس قبل أن ترفع يديها معا وتضعهما معاً . وهذا مخالف لما ورد فى دواوين اللغة فى ترتيب عدو الفرس فالتقريب هو نفسه رفع الفرس ليديها معا ووضعها لهما معاً . انظر كتاب فقه اللغة للثعالبى (طبع بيروت سنة ١٨٨٥ م ص ١٨٧) وتهذيب التبريزى لكتاب الألفاظ لابن السكيت (بيروت سنة ١٨٩٥ م ص ١٨٥) فى الأول التقريب أن يرفع الفرس يديه ويضعهما معاً وفى الثانى : إذا رفع يديه ووضعهما معا فذلك التقريب . وإذا أردنا أن نحدد هذا النوع من عدو الفرس كما جاء فى عبارة « تقرب بى » فى الحديث فهو أكثر من الخبب ودون الإمجاج . والخبب هو أن تراوح الفرس بين يديها قاله ابن السكيت وأن يستقيم تهاديها فى جريها فتراوح بين يديها وتقبض رجليها قاله الثعالبى . والإمجاج أن تأخذ فى العدو قبل أن تضطرم فى عدوها .

« أَهْوَيْتُ » بيدى : بَسَطْتُها للأَخذ . « الكِنَانة » : بكسر الكاف الخريطة[1] المستطيلة التى يجعل فيها السهام . « الأَزلام » : واحدها زلم بفتحتين وبفتحة فَضَمَّة وهو القِدْح واحِدُ القِدَاح بكسر القاف وهو عيدان السهام قبل أَن تُرَاش ويُرَكَّب فيها النِّصَال ، فإذا فُعِل ذلك فهى سِهَام . وكان أَهل الجاهلية يَسْتَقْسِمُونَ بها مكتوبٌ عليها الأَمر والنهى أَى : إِفْعَلْ : لا تَفْعَلْ ، فما خَرَج منها عَمِلوا به . والاستقسام بها هو الضَّرْبُ بها لإِخراج ما قَسَم الله لهم من أَمْر وغيره بِزَعْمِهم . قال الحافظ أَبو العَبَّاس تَقِيّ الدين الحَرَّانى[2] : « إن القُرْعة التى مع الطرقية[3] التى فيها ا ب ج د من الأَزلام ، ونقل ذلك عن أَبى جعفر النَّحَّاس . « سَاخَتْ » : بسين مهملة فألف فخاء معجمة أَى غاصت . « ارتْطَمَتْ به » : أَى سَاخَتْ قَوَائِمُها فى الأَرض[4] . « عُثَان » : بضم العين المهملة والثاء المثلثة المخففة شبه الدُّخَان[5] . « أَن سيظهر » : مرفوع ، و « أَن » قبله مُخَفَّفة من الثقيلة وتقديره : سيظهر . « فلم يَرْزَآنى » : براء فزاى لم يُنْقِصَانى مما معى شيئًا . « أَخْفِ عَنَّا » : بفتح الهمزة[6] : « قُدَيْد[7] » . بضم القاف وفتح الدال المهملة ثم مثناة تحتية ساكنة فدال مهملة أُخرى ، موضع بين مكة والمدينة . « بمِجَن » : بكسر الميم وفتح الجيم وتشديد النون : التُّرْس سُمِّىَ مِجَنًّا لأَنه يوارى حامله أَى يستره .

---

(١) الخريطة وعاء من جلد أو نحوه يشد على ما فيه .

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله .. ابن تيمية الحرانى الحنبلى (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) وهو أشهر من أن يعرف به فى هذه الحاشية .

(٣) لم يشر المؤلف إلى المرجع الذى نقل عنه من مؤلفات ابن تيمية وما أكثرها ، حتى يتيسر لنا مراجعة هذا الاقتباس

(٤) فى القاموس المحيط : رطمه من باب نصر أوحله فى الأمر وارتطم عليه الأمر لم يقدر على الخروج منه .

(٥) فى النهاية (جـ ٣ ص ٦٩) : فى حديث الهجرة وسراقة : وخرجت قوائم دابته ولها عثان أو دخان وجمعه عواثن على غير قياس . ومنه أن مسيلمة لما أراد الإعراس بسجاح قال : عثنوا لها أى بخروا البخور .

(٦) فى النهاية (جـ ٢ ص ٣٠٨ : ٣٠٩) . أخف عنا أى استر الخبر لمن سألك عنا .

(٧) قديد موضع فيه ماء بالحجاز بين مكة والمدينة قاله الخشنى (جـ ١ ص ١٤٤) وفى معجم البكرى (جـ ٣ ص ١٠٥٤) سميت قديداً لتقدد السيول بها وفى التاج قال ابن سيده وقديد موضع وبعضهم لا يصرفه وذكر كل من ياقوت فى معجم البلدان (جـ ٧ ص ٣٨) وابن دريد فى الاشتقاق (ص ٥١٩ و ٥٢٠) وجوها مختلفة لاشتقاقها .

الباب الخامس

فى تَلَقِّى أَهْل المدينة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ونزوله بِقُبَاء وتأْسيس مَسْجِد قُبَاء

روى البخارى عن عائشة ، وابنُ سعد عن عبد الرحمن بن عُوَيْم بن ساعدة[1] عن جماعة من الصحابة أن المسلمين بالمدينة لما سمعوا بِمَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وتَوَكَّفوا[2] قدومَه كانوا يخرجون إذا صَلُّوا الصبح إلى [ظاهر[3]] الحَرَّة ينتظرونه حتى تغلبهم الشمس على الظلال[4] ، ويؤذيهم حَرُّ الظهيرة . فإذا لم يجدوا ظِلاًّ دخلوا ، وذلك فى أيّام حَارَّة حتى كان اليوم الذى قَدِم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلوا البيوت فَأَوْفَى[5] رجل من اليهود على أُطُم من آطامهم لأَمر ينظر إليه ، فَبَصُرَ برسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه مُبَيَّضِين[6] ، يلوح[7] بهم السَّرَاب[8] ، فلم يَمْلِك اليهودى نَفْسَه فصرخ[9] بأَعلى صوته : « يا بنى قَيْلَة[10] » ، وفى لفظ يا مَعْشَر العرب ، « هذا جَدُّكم » ، وفى لفظ : هذا صاحبكم الذى تنتظرون ، « قد جاء » . فثار المسلمون إلى السلاح ، فَتَلَقَّوْا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بظَهْر الحَرَّة وذلك يوم الاثنين لشهر ربيع الأَول ، فخرجوا إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وهو فى ظِلِّ نَخْلَة ومعه أَبو بكر فى مثل سِنِّه .

---

(١) ولد عبد الرحمن قبل الهجرة وأبوه عويم بن ساعدة الأوسى شهد فيما قيل العقبات الثلاث .

(٢) توكفوا قدومه استشعروه وانتظروه قاله الخشنى .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٠٩)

(٤) عند الخشنى : الظراب جمع ظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء وهو الجبل الصغير .

(٥) أوفى أى طلع

(٦) أى عليهم الثياب البيض التى كساها إياهم الزبير وطلحة .

(٧) فى مواهب القسطلانى : يزول بهم أى يرفعهم ويظهرهم وقال ابن حجر : أى يزول بسبب عروضهم له .

(٨) السراب المرئى نصف النهار فى شدة الحر كأنه ماء قاله الزرقانى .

(٩) فى الأصول « قال » والإصوب صرخ كما فى سيرة ابن هشام .

(١٠) قيلة الجدة الكبرى للأنصار والدة الأوس والخزرج وهى بنت كاهل بن عذرة ، عن شرح المواهب (ج ١ ص ٣٥٠) .

وقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتًا ، فطَفِقَ مَنْ جاء من الأنصار مِمَّنْ لم يرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يُحَيِّى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظَلَّلَ عليه بردائه فعرف الناس رسول الله عند ذلك .

وفى رواية : « فلما رَأَوْا أبا بكر ينحاز له عن الظِلِّ عرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعَدَل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين حتى نزل بهم عُلُوَّ[1] المدينة بقُبَاء فى
٤١٨ ظـ بنى عَمْرو بن عوف على كلثوم بن الهِدْم[2] بكسر الهاء وسكون / الدال المهملة ، قيل : وكان يومئذ مشركًا ، وبه جَزَم [محمد بن الحَسَن[3]] بن زَبَالة » ، وقيل : « إنما نَزَلَ على سَعْد بن خَيْثَمَة[4] » . قال رَزِين[5] : « والأول أَصَحّ » وقال الحاكم إنه الأَرْجَح ، [قال] : « وقد قاله ابنُ شهاب وهو أَعْرَف بذلك من غيره » وقال الدمياطى[6] : « إنه أَثْبَت » . وقال بعضهم « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل على كلثوم بن الهِدْم وكان يخرج للناس من منزله فيجلس للناس فى بيت سعد بن خَيْثَمَة لأنه كان عَزَبًا لا أهل له

---

(١) فى وفاء الوفا للسمهودى (جـ ١ ص ١٧٥) علو المدينة وقباء معدودة من العالية وكأن حكمته التفاؤل له ولدينه بالعلو . ونقل ذلك الديار بكرى فى تاريخ الخميس (جـ ١ ص ٣٣٦) .

(٢) كتب خطأ فى أسد الغابة (جـ ٤ ص ٢٥١) : كلثوم بن هرم أى هرم بالراء وورد دون ضبط كلمة هدم فى سيرة ابن هشام (طبعة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٣٧ م جـ ٢ ص ١١٠) ولكن ضبطه ابن حجر فى الإصابة (جـ ٥ ص ٣١١) فقال : بكسر الهاء وسكون الدال كما ورد بهذا الضبط فى تاريخ الطبرى (جـ ٢ ص ٢٥٦) وفى جوامع السيرة لابن حزم (ص ٨٩ و ٩٣) . وجاء فى الاشتقاق لابن دريد ص ٤٣٩ : ومنهم كلثوم بن الهدم وهو الذى نزل به النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ثم تحول بعد إلى بيت أبى أيوب . والهدم الكساء الخلق والجمع أهدام والهدم أيضا ما سقط من حائط إذا هدمته والمصدر الهدم وما يسقط منه هدم وذكر الطبرى وابن قتيبة أن كلثوم بن الهدم أول من مات من الصحابة بالمدينة ثم مات بعده أسعد بن زرارة .

(٣) تكملة اسمه من شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٥٠) وتاج العروس وميزان الاعتدال للذهبى (جـ ٣ ص ٥١٤) وخلاصة الخزرجى (ص ٢٨٣) وهو محمد بن الحسن بن زبالة المخزومى المدنى روى عن أسامة بن زيد بن أسلم ومالك وابن وهب وخلائق وروى عنه أبو خيثمة والزبير بن بكار وجماعة كذبه أبوداود وقال النسائى متروك وقال الدارقطنى وغيره منكر الحديث .

(٤) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك بن النحاط الأوسى وهو عقبى بدرى نقيب كان نقيبا لبنى عمرو بن عوف قتل يوم بدر شهيداً انظر أسد الغابة (جـ٢ ص ٢٧٥ : ٢٧٦) .

(٥) هو رزين بن أنس السلمى وزاد ابن حجر فى الإصابة (جـ ٢ ص ٢٠٦) ابن عامر وقال ابن حبان وابن السكن له صحبة .

(٦) سبقت ترجمته .

هناك [وكان مَنْزِلَ العُزَّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين فمن هنالك يقال[1] :] نزل على سعد بن خيثمة . ونزل أبو بكر على خُبَيْب بن إساف[2] أحد بنى الحارث بالسُّنْح – بسين مهملة مضمومة فنون ساكنة فحاء مهملة[3] . ويُقال على خارجة بن زيد [بن أبى زهير أخى بنى الحارث بن الخزرج[4]] » .

وروى الزبير بن بَكَّار[5] عن عبد الله بن حارثة[6] قال : « نزل رسول الله صلَّى الله عليه وسلم على كلثوم بن الهِدْم ، فصاح كلثوم بغلام له فقال : يا نُجَيْح . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْجَحْتَ[7] يا أبا بكر » وأقام على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة بعد مَخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم أيامًا – قال بعضهم ثلاثة – حتى أدَّى للنَّاس ودائعهم التى كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَلَفَهُ لِيَرُدَّها ، ثم خرج فلَحِقَ برسول الله صلى الله عليه وسلم بقُبَاء فنزل على كلثوم بن الهِدْم .

وقال عَلِيٌّ فيما رواه ابن إسحق ورزين : « [كنتُ نزلت بقُبَاء[8]] وكانت امرأة مسلمة لا زوج لها ، فرأيت إنسانًا يأتيها من جوف الليل فيَضْرِب عليها بابَهَا ، فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه فتأخذه فاسْتَرَبْتُ شَأْنَه ، فقلت لها : يا أَمَةَ الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يَضْرِب

---

(١) زيادة من سيرة بن هشام (جـ ٢ ص ١١٠) .

(٢) هو خبيب بن إساف – وقيل يساف – ابن عتبة بن عمرو بن خديج الخزرجى شهد بدرا وما بعدها وتوفى فى خلافة عمر ، وكان قد تأخر إسلامه إلى قبيل غزوة بدر وروى عنه أنه قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجل من قومى وقلنا إنا لنستحى أن يشهد قومنا مشهدا لا نشهده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو أسلمتما ؟ قلنا لا . فقال إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين ، قال : فأسلمنا وشهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر الإصابة (جـ ٢ ص ١٠٣) وأسد الغابة (جـ ٢ ص ١٠٩ ، ١١٠) .

(٣) السنح ضبطه البكرى فى معجمه (جـ ٣ ص ٧٦٠) بضم أوله وثانيه وضبطه الزبيدى فى التاج بسكون النون وضمها . وفى وفاء الوفا للسمهودى (جـ٢ ص ٣٢٥) : السنح أطم لجشم وزيد ابنى الحارث سميت الناحية به وكان بالسنح منزل أبى بكر الصديق .

(٤) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١١٠) .

(٥) هو أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام (١٧٢ – ٢٥٦ هـ) كان شاعرا أخباريا علامة بالأنساب أورد ابن النديم فى الفهرست (ص ١٦٠ : ١٦٢) ثبتاً مطولا بمؤلفاته مع ترجمته منها نسب قريش والموفقيات فى الأخبار وكتاب الأوس والخزرج وأخبار عدد كبير من الشعراء . ترجم له ابن خلكان (جـ ١ ص ١٨٩) .

(٦) هو عبد الله بن حارثة بن النعمان الأنصارى يعد فى المدنيين ترجم له ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٤٠) .

(٧) فى النهاية (جـ ٤ ص ١٢٦) : يقال نجح فلان وأنجح إذا أصاب طلبته ونجحت طلبته وأنجحت وأنجحهما الله .

(٨) زيادة من ابن هشام (جـ ٢ ص ١١١) .

عليكِ بَابكِ كُلَّ ليلة فَتَخْرجين إليه فيُعْطِيكِ شيئًا لا أَدرى ما هو ، وأَنت امرأَةٌ مسلمة لا زوج لك ؟ قالت : هذا سَهْل بن حُنَيْف ، قد عَرَف أَنى امرأَة لا أَحَدَ لى ، فإذا أَمْسَى عَدَا على أَوثان قومه فكسرها ثم جاءنى بها . فقال : احْتَطِبِى بها ، فكان علىّ يَأْثُرُ[1] ذلك من أَمر سَهْل بن حُنَيْف [حين هلك عنده بالعراق[2]] .

وكان لكلثوم بن الهِدْم مِرْبَد ، والمِرْبَد الموضع الذى يُبْسَط فيه التَّمْر ليجِفَّ ، فأَخذه منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأَسَّسَه وبناه مَسْجِدًا . وفى الصحيح عن عُرْوَة : « فَلَبِث فى بنى عَمْرو بن عَوْف وأَسَّسَ المسجد الذى أُسِّس على التقوى » . وفى رواية عبد الرَّزَّاق عنه قال : « الذين بَنَى فيهم المسجد الذى أُسِّس على التقوى » هم بنو عَمْرو بن عَوْف وكذا عند ابن عائذ [ولفظه : « ومَكَثَ فى بنى عَمْرو بن عَوْف ثلاث ليالٍ واتَّخَذَ مكانَه مسجدًا فكان يصلى فيه ثم بناه بنو عَمْرو بن عَوْف فهو الذى أُسِّس على التقوى[3] »] .

وروى يونس بن بكير فى زيادات المغازى عن المسعودى عن الحَكَم بن عُتَيْبة - بضم العين المهملة وفَتْح الفوقية وسكون التحتية وبالمُوَحَّدَة - قال : لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم فَنَزَلَ بِقباء قال عَمَّار بن يَاسِر : « ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بُدّ من أَن يجعل له مكانًا يَسْتَظِلُّ به إذا استيقظ ويُصَلِّى فيه » . فجَمَعَ حِجَارةً فَبَنَى مَسْجِدَ قباء فهو أَول من بنى مسجدًا - روى الحافظ والسيد[4] - يَعْنِى لعَامَّة المسلمين أَو للنبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو فى التحقيق أَوَّل مسجدٍ صَلَّى فيه بأصحابه جَمَاعةً ظاهِرًا ، وإن كان قد

---

(١) فى المصباح : أثرت الحديث أثرا من باب قتل نقلته والأثر بفتحتين اسم منه وحديث مأثور أى منقول . وفى التاج قال الزبيدى : فى المحكم أثر الحديث عن القوم يأثره أى من حد ضرب ويأثره من حد نصر أنبأهم بما سبقوا فيه من الأثر وقيل حدث به عنهم فى آثارهم .. وفى حديث على فى دعائه على الخوارج : ولا بقى منكم آثر أى مخبر يروى الحديث . وفى قول أبى سفيان فى حديث قيصر : لولا أن تأثروا عنى الكذب أى تروون وتحكون .

(٢) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١١) ونسب سهل بن حنيف كما ساقه ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٢ ص ٣٦٤) وابن حزم فى جوامع السيرة (ص ١٢٦) هو : سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث ابن عمرو بن خنس أو خنساء .. ابن الأوس . وشهد مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وشهد مع على صفين ومات سهل بالكوفة سنة ٣٨ هـ .

(٣) إضافة من السمهودى

(٤) يقصد المؤلف بالسيد : على بن عبد الله بن أحمد بن على نور الدين أبو الحسن السمهودى : نزيل الحرمين وصاحب كتاب وفاء الوفا ويعرف جده بالشريف السمهودى ترجم له السخاوى فى الضوء اللامع (ج ٥ ص ٢٤٥ : ٢٤٨) وقال : « ولا زالت كتبه ترد على بالسلام وطيب الكلام » فالسمهودى توفى سنة ٩١١ هـ والسخاوى توفى سنة ٩٠٢ هـ .

بُنِيَ غَيْرُه من المساجد ، فقد روى ابن أبي شيبة عن جابر رضى الله عنه قال : لقد لَبِثْنا بالمدينة قبل أن يَقْدَمَ علينا النبي صلى الله عليه وسلم سَنَتَيْن نَعْمرُ المساجِدَ ونقِيمُ الصلاة ، ولذا قيل : كان المُتَقَدِّمُونَ فى الهجرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنصار بقُبَاء قد بَنَوْا مسجدًا يُصَلُّون فيه ، يعنى هذا المسجد ، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وَوَرَدَ قُبَاء صَلَّى بهم فيه إلى بيت المقدس ، ولم يُحْدِث فيه شيئًا أى فى أوّل الأمر لأن ابن شَبَّة[1] - بالشين المعجمة والمُوَحَّدة المُشَدَّدَة المفتوحتَيْن - روى ذلك ، ثم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى مسجد قُبَاء ، وقَدَّم القِبْلَة إلى موضعها اليوم وقال / : ٤١٩ و
« جبريل يَؤُمّ بى البيت[2] » .

وروى الطبرانى عن جابر بن سَمُرَة رضى الله عنه قال : « لما سَأَلَ أَهْلُ قُبَاء النَّبىَّ صلى الله عليه وسلم أن يبنى لهم مسجدًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِيَقُمْ بعضكُم فيركب الناقة ، [فقام أبو بكر رضى الله عنه فَرَكِبَها فحرَّكها فلم تنبعث فرجع فقعد فقام عُمَر رضى الله عنه فركبها فلم تَنبعث فرجع فقعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « لِيَقُمْ بعضُكم فيركب الناقة [3] »] ، فقام عَلِيّ رضى الله عنه ، فلما وَضَع رِجْلَه فى غَرْزالرِّكاب وثَبَتَ به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَرْخِ زِمَامَها وابْنُوا على مَدَارها [فإنها مأمورة[3]] . وروى الطبرانى بسَنَدٍ رِجَالُه ثقات عن الشَّمُوس - بفتح الشين المعجمة - بنت النعمان[4] رضى الله عنها قالت : « نظرتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين

---

(١) فى الأصول : ابن أبي شيبة ولا يتفق هذا مع الضبط التالى الذى أورده المؤلف . فالمقصود عمر بن شبة أبو زيد النميرى البصرى الحافظ الأخبارى الثقة كان حجة فى الأخبار والأنساب والقراءات والنحو واللغة أورد بن النديم فى الفهرست ثبتا بمؤلفاته منها ما يتعلق بالبصرة والكوفة والمدينة ومكة وأشعار الشراة وغيرها (انظر ص ١٦٣ : ١٦٤) توفى سنة ٢٦٢ هـ بسر من رأى عن تسعين سنة انظر ترجمته فى ابن خلكان (جـ ١ ص ٣٧٨ : ٣٧٩) ومعجم الأدباء لياقوت (جـ ١٦ ص ٦٠ : ٦٢) وغاية النهاية لابن الجزرى (جـ ١ ص ٥٩٢) : ٥٩٣) وبغية الوعاة للسيوطى (ص ٣٦١) وشذرات الذهب (جـ ٢ ص ١٤٦) .

(٢) زاد السمهودى (جـ ١ ص ١٧٩) الذى نقل عنه المؤلف : وقد اختلف فى المراد بقوله تعالى : « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم » (التوبة آية ١٠٨) فالجمهور على أن المراد به مسجد قباء ولا ينافيه قول المصطفى : « لمسجد المدينة هو مسجدكم هذا » .إذ كل منهما أسس على التقوى .

(٣) زيادة من وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٧٩) الذى نقل عنه المؤلف .

(٤) كانت من المبايعات ونسبها كما ساقه ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٤٨٨) هو : الشموس بنت النعمان ابن عامر بن مجمع الأنصارية ، وقال ابن الأثير إنها حضرت مع النبى صلى الله عليه وسلم حين أسس مسجد قباء .

قَدِمَ ونَزَلَ وأَسَّس هذا المسجد : مسجد قُبَاء ، فرأيتُه يأْخذ الحجَر أَو الصَّخْرَة حتى يَهْصِرَهُ[1] الحَجرُ ، وأَنظر إلى بياض التراب على بَطْنه أَو سُرَّته فيأْتى الرجل من أَصحابه ويقول : يا رسول الله بأَبى أَنت وأُمى اعْطِنِى أَكْفِكَ ، فيقول : « لا خُذْ مِثْلَه » ، حتى أَسَّسَه ، ويقول : « إن جبريل عليه السلام هو يَؤُمّ الكعبة » قالت : فكان يُقَال : إنه أَقْوَمُ مَسْجدٍ قِبْلَةً[2] .

قال السيد[3] : « قد صَحَّ أَنه صلى الله عليه وسلم كان يستقبل بيت المقدس حتى نُسِخَ ذلك وجاء نقباؤهم فى صلاة الصبح فأَخبرهم وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة ، فيُحْتَمَل أَن جبريل عليه السلام كان يَؤُمّ [به] البيت ليُسْتَدَلّ به على جهة بيت المقدس لتقابل الجهتَيْن ويُعْلِمه بما يؤول إليه الأَمر من استقبال الكعبة . أَو أَنه صلى الله عليه وسلم كان مُخَيَّراً فى ابتداءِ الهجرة فى التَّوَجُّه إلى بيت المقدس أَو إلى الكعبة ، كما قاله الربيع ، فَأَمَّ به جبريل البَيْتَ لذلك ، واختيارُه الصلاةَ لبيت المقدس أَولاً لاستمالة اليهود أَو أَن استقبال الكعبة كان مشروعاً فى ذلك الوقت ثم نُسِخَ ببيت المقدس ثم نُسِخ بالكعبة كما قاله القاضى أَبو بكر بن العربى وغيره من أَن القبلة نُسِخَتْ مرتين ، أَو أَن ذلك تأْسيس آخر غير التأْسيس الأَول . ويدل على هذا ما قَدَّمناه من رواية ابن شَبَّة » .

وروى ابن شَبَّة أَيضاً أَن عبد الله بن رواحة كان يقول وهم يبنون فى مسجد قُبَاء : « أَفْلَحَ مَنْ يَعْمُرُ المساجِدَا » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المساجدا » ، فقال عبد الله : « ويَقْرَأُ القرآن قائماً وقاعِداً » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وقاعِدَا » ، فقال عبد الله : « ولا يبيتُ اللَّيْلَ عنه راقِدا » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَاقِدَا » .

تنبيهات

الأَول : اختُلِف فى قَدْر إقامته فى بنى عَمْرو بن عَوْف ، ففى الصحيح عن

---

(١) هصر فلان الشىء يهصره هصرا من باب ضرب وهصر الغصن عطفه وأماله وفى النهاية (جـ ٤ ص ٢٤٩) . أصل الهصر أن تأخذ برأس العود فتثنيه إليك وتعطفه . وفى حديث بناء مسجد قباء : فهصر الحجر إلى بطنه أضافه وأماله

(٢) استشكل ابن الأثير فى أسد الغابة ما جاء فى هذا الحديث فقال : قوله يؤم الكعبة فيه نظر فإن النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسس مسجد قباء لم تكن القبلة إلى الكعبة إنما كانت إلى البيت المقدس ثم حولت إلى الكعبة بعد ذلك (أسد الغابة جـ ٥ ص ٤٨٨ : ٤٨٩) ونجد فيما أورده المؤلف نقلا عن السمهودى ردا على ذلك .

(٣) النص التالى فى وفاء الوفا (جـ ١ ص ١٨٠ : ١٨١)

[ابن شهاب عن عُرْوة بن الزبير[1]] أنه صلى الله عليه وسلم لَبِثَ فيهم بضع عشرة ليلة . وفيه عن أَنَس أنه أقام فيهم أربع عشرة ليلة ، وقدمه فى الإشارة ، وقيل خمس ليال قاله ابن إسحق . وقال ابن حِبَّان : أقام بها الثلاثاء والأربعاء والخميس ، يعنى وخرج يوم الجمعة فلم يَعْتَدّ بيوم الخروج . وقال ابن عباس وابن عُقْبَة : ثلاث ليال ، فكأنهما لم يَعْتَدَّا بيومَىْ الخروج / ولا الدخول . وعن قَوْمٍ من بنى عَمْرو بن عوف أنه أقام فيهم اثنين ٤١٩ ظـ
وعشرين يوماً .

الثانى : المُعْتَمَد أنه صلى الله عليه وسلم دخل قُبَاء يوم الاثنين كما فى الصحيح ، قال ابن عُقْبَة لهلال ربيع الأول أى أول يوم منه ، وفى رواية جرير بن حازم عن ابن إسحق قَدِمَها لليلتَيْن خَلَتَا من شهر ربيع الأول ، وفى رواية إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق : قَدِمها لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، وعند أبى سعيد فى شرف المصطفى من طريق أبى بكر بن حزم قال : قَدِم المدينة لثلاث عشرة من ربيع الأول ، وهذا يُجْمَع بينه وبين الذى قبله بالحمل على الإختلاف فى رؤية الهلال[2] .

الثالث : قال الحافظ : الأكثر أنه قَدِم نهاراً ، ووقع فى رواية مسلم ليلاً ويُجْمَع بأن القدوم كان آخر الليل فدخل نهاراً .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق : «تَوَكَّفوا» : انتظروا[3] . «الظهيرة» : بفتح الظاء المعجمة وكسر الهاء بعدها مثناة تحتية وهى نصف النهار . «أوفى» : طلع إلى مكانٍ عالٍ[4] .

---

(١) بياض بالأصول بقدر نحو ست كلمات والتكملة من صحيح البخارى كتاب المناقب باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة (جـ ٥ ص ١٥٩) وإسناد هذا الحديث المطول (من ص ١٥٤ إلى ص ١٦٠) : حدثنا يحيى ابن بكير عن الليث عن عقيل قال ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت : ولكن قرب نهاية الحديث بنحو صحيفة ونصف اقتصر فى الإسناد على ابن شهاب وعروة .

(٢) فى مواهب القسطلانى وشرح الزرقانى طائفة من الروايات عن هذه التحديدات الزمنية انظر شرح المواهب جـ ١ ص ٣٥١ و ٣٥٢

(٣) فى الصحاح التوكف التوقع يقال ما زلت أتوكفه حتى لقيته ، وهو من وكف المطر يوكف وكفا إذا وقع قاله فى النهاية (جـ ٤ ص ٢٢٨) ، وتوكف الخبر إذا انتظر وكفه أى وقوعه .

(٤) فى النهاية (جـ ٤ ص ٢٢٣) فى حديث كعب بن مالك : أوفى على سلع أى أشرف واطلع .

«الأُطُم» : بضم أوله وثانيه وهو الحِصْن، ويقال بناء من حجارة كالْقصْر. «مُبَيَّضين» : أى عليهم الثياب البيض التى كساهم إياها الزُّبير أو طلحة . «يزول بهم» : أى يرفعهم ويُظْهِرُهم . «السَّراب» : الذى يكون نصف النهار لاطئاً بالأرض كأنه ماء . «قَيْلَة» : بفتح القاف وسكون التحتية : الجَدَّة الكبرى للأنصار . «جَدُّكم» : بفتح الجيم أى حَظُّكم وصاحب دواتكم الذى تَتَوَقَّعُونَه . «طَفِق» : بكسر الفاء وفتحها أى جَعَلَ . «انحاز» ، بالحاء المهملة والزاى : مال « جَوْفُ اللَّيْل» : وَسَطُهُ . «اشْتَرَبْتُ شَأْنَه» : أى شَكَكْتُ فيه . « يأْثُر ذلك» : أى يُحَدِّث به . « يَهْصِرُهُ» : يُمِيلُهُ . « يؤُمّ» : بفتح المثناة التحتية بعدها همزة مضمومة أى يقصد . «الغَرْز» : بغين معجمة مفتوحة فراء ساكنة فزاى : أى ركاب الإبل .

الباب السادس

فى قدومه صَلَّى الله عليه وسلم باطِنَ المدينة وما آلَتْ إلَيْه وفَرَحُ أَهْلِ المدينة برسول الله صلى الله عليه وسَلَّم

روى الإمام أحمد والشيخان عن أبى بكر ، وسعيد بن منصور عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهم والبيهقى عن موسى بن عُقْبَة[1] ، وابن إسحق عن عويم بن ساعدة ، ويحيى ابن الحسن عن عُمَارة بن خزيمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يدخل المدينة أرسل إلى بنى النَّجَّار ، وكانوا أخواله لأن أم عبد المطلب منهم كما تقدم فى باب النَّسَب . فجاءوا متقلدين السيوف ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأصحابه : « ارْكَبُوا آمنين مُطَاعِين » . وكان اليوم يوم الجمعة فلما ارتفع النهار دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم براحلته وحُشِدَ المسلمون ولَبِسُوا السلاح ، وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقَتَه القَصْوَاء[2] والناس معه عن يمينه وعن شِمَاله وخلفه منهم الماشى والراكب فاجتمعت بنو عَمْرو بن عَوْف فقالوا : يا رسول الله أَخَرَجْتَ ملالاً لنا أم تريد داراً خيراً من دارنا ؟ قال : « إنى أُمِرْتُ بقريةٍ تأكل القُرَى فخَلُّوهَا - أى ناقته - فإنها مأمورة » ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من قُبَاء يريد المدينة فَتَلَقَّاه الناس فخرجوا فى الطرق وعلى الأباعر

---

(١) هو موسى بن عقبة بن أبى عياش مولى بنى الزبير بن العوام من تلاميذ الزهرى ممن ألفوا فى المغازى هو ومعمر ابن راشد ومحمد بن إسحق والثلاثة من الموالى توجد قطعة من مغازيه نشرت فى برلين سنة ١٩٠٤ م وعن كتابه مقتبسات فى روايات الواقدى وطبقات ابن سعد والإصابة لابن حجر وتاريخ الخميس للديار بكرى ، وكان يوثقه مالك بن أنس إذ قال عليكم بمغازى موسى بن عقبة فإنه ثقة ويستنتج من المقتبسات الكثيرة التى أوردها ابن سعد أن كتاب موسى كان يحتوى على قوائم بأسماء المهاجرين إلى الحبشة والمشتركين فى بيعتى العقبة وغزوة بدر وروى أن مالكا قال عن هذه القوائم : من كان فى كتاب موسى قد شهد بدراً فقد شهدها ومن لم يكن فيه فلم يشهدها . ترجم له الذهبى ترجمة موجزة وقال إنه توفى سنة ١٤١ هـ . انظر خلاصة الخزرجى ص٣٣٦ والإعلان بالتوبيخ للسخاوى والمغازى الأولى ومؤلفوها لهوروفتس ترجمة نصار (القاهرة سنة ١٩٤٩ م ص ٦٩ : ٧٣) .

(٢) فى الأصول القصوى : وفى النهاية (جـ ٣ ص ٢٦٠) أنه خطب على ناقته القصواء والقصواء هى الناقة التى قطع طرف أذنها . هذا وقد تعددت أسماء هذه النوق فى الأحاديث فمنها العضباء والجدعاء والصلماء شرح معانيها ابن الأثير وجاء فى السيرة الحلبية (جـ ٢ ص ٥٧) أن تلك النوق لم يكن بها شىء من ذلك بل إنها ألقاب لناقة واحدة .

٤٢٠ و وصار الخدم والصبيان يقولون : «الله أكبر، جاءنا رسول الله جاء محمد» قال أَنَس / فيما رواه البيهقى : «إنى لأسعى مع الغلمان إذ قالوا محمد جاء فننطلق فلا نرى شيئاً ، حتى أقبل وصاحبه أبو بكر فكمنا فى بعض جُدُر المدينة وبعثا رجلاً من أهل البادية ليُؤذِن بهما الأنصار فاستقبلهما زُهَاء خمسمائة من الأنصار ، حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار : انطلقا آمِنَيْن مُطَاعَيْن . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم [وصاحبه(١)] بين أظْهُرِهم ، فخرج أهل المدينة حتى أن العواتق لَفَوْقَ البيوت يَتَرَاءيْنَه يَقُلْنَ : أيُّهم هو ؟ أيُّهم هو ؟ فما رأينا منظراً شبيهاً به يومئذ .

روى الإمام أحمد وأبو داود عن أنس رضى الله عنه أنه قال : «لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لَعِبَتْ الحبشة بحرابها فرحاً بقدومه» . وروى البيهقى ورزين عن عائشة رضى الله عنها قالت : «لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جعل النساء والصبيان والولائد يَقُلْنَ :

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاع
وَجَبَ الشكرُ علينا مَا دَعَا للهِ دَاع

زاد رزين :

«أيُّها المَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بالأَمْرِ المُطَاع

وروى البخارى عن البراء رضى الله عنه أنه قال : «ما رَأَيْتُ أَهْلَ المدينة فَرِحُوا بشىء فَرَحَهُم برسول الله صلى الله عليه وسلم» . وروى ابن ماجه عن أنس رضى الله عنه أنه قال : «لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أَضَاء منها كُلُّ شىء» . وروى ابن أبى خيثمة رضى الله عنه قال : «شَهِدْتُ يوم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أَرَ يوماً أَحْسَنَ منه ولا أضوأ» .

فلم يَمُرّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار إلا قالوا : «هَلُمَّ يا رسول الله إلى العِزّ والمَنَعة والثروة» . فيقول لهم خَيْراً ويدعو أو يقول : «إنها مأمورة خَلُّوا سبيلَها» ، فَمَرَّ ببنى سالم فقام إليه عِتْبَان ـ بكسر العين المهملة ـ ابن مالك ، ونَوْفَل بن عبد الله بن

(١) بياض بالأصول والتكملة من البداية والنهاية لابن كثير (جـ ٣ ص ١٩٧) .

مالك بن العَجْلان ، وهو آخِذٌ بِزِمام راحلته ، فقال : «يا رسول الله انْزِلْ فينا فإن فينا العَدَد والعشيرة والحَلْقَة ، ونحن أصحاب [الفضاء[1]] والحدائق [والدَّرَك[1]] ، يا رسول الله قد كان الرجل من العرب يدخل هذه البُحْرَة[2] خائفاً فيلجأُ إلينا فنقول له : قَوْقِلْ[3] حيث شئت» . فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يَتَبَسَّم ويقول : «خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة» ، فقام إليه عُبَادة بن الصامت ، وعباس بن [عُبَادة بن[4]] نَضْلَة بن [مالك ابن[4]] العَجْلان ، فجعلا يقولان : «يا رسول الله انْزِلْ فينا» ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم : «بَارَكَ الله عليكم إنها مأمورة» .

فلما أتى مسجد بنى سالم وهو المسجد الذى فى الوادى : وادى رانوناء[5] ، أدركته الجمعة هناك فَصَلَّاها فيه وكانت أول جُمُعَة صَلَّاها فى المدينة ، وقيل إنه كان يُصَلِّى الجُمُعَة بمسجد قُبَاء ، وعند ابن سعد أنه صلى معه الجمعة مائة نفس[6] ، ثم أخذ رسول الله صلى

---

(١) بياض بالأصل والتكملة من وفاء الوفا للسمهودى (جـ ١ ص ١٨٣) . وفى الصحاح الدرك يسكن ويحرك التبعة ، يقال : ما لحقك من درك فعلى خلاصه . وفى النهاية (جـ ٢ ص ٢٠) : الدرك اللحاق والوصول إلى الشىء أدركته إدراكا ودركا ، ومنه الحديث : لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا لحاجته .

(٢) جاء فى الفائق للزمخشرى (جـ١ ص ٦٤) : أن النبى صلى الله عليه وسلم شكا عبد الله بن أبى بن سلول إلى سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله اعف عنه فوالذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق ، ولقد اصطلح أهل البحرة على أن يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاك شرق بذلك أراد بالبحرة المدينة ، يقولون هذه بحرتنا أى أرضنا وبلدتنا ، وأصل البحرة فجوة فى الأرض تنبحر أى تنبسط وتتسع . هذا وقد رويت أيضا مصغرة : بحيرة .

(٣) فى الاشتقاق لابن دريد (ص ٤٥٦) : القوقلة التغلغل فى الشىء والدخول فيه .

(٤) تكملة نسبه من أسد الغابة (جـ ٣ ص ١٠٨ : ١٠٩) والإصابة (جـ ٤ ص ٣٠) ، هذا وقد كان لعباس ابن عبادة الفضل فى شد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيعة العقبة .

(٥) فى معجم البلدان لياقوت (جـ ٤ ص ٢١٤) أن النبى صلى الله عليه وسلم أدركته الجمعة فى بنى سالم وأنه صلاها فى المسجد الذى فى بطن الوادى : وادى رانوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة. ثم قال ياقوت : وهذا لم أجده فى غير كتاب ابن إسحق الذى لخصه ابن هشام . . ورانوناء بوزن عاشوراء . هذا ولم يرد ذكر لرانوناء فى معجم البكرى ولا فى الفصل الثامن الذى عقده السمهودى فى الجزء الثانى من كتابه وفاء الوفا (ص٢٣٩ : ٣٩٤) عن بقاع المدينة وأعراضها حيث رتب أسماءها ترتيبا أبجديا ولكنه فى ص ٢١٤ من الجزء الثانى أورد ما قاله المطرى بأن رانوناء ينتهى إلى مسجد الجمعة ببنى سالم ثم يصب فى بطحان أما ابن زبالة فروى أنه صلى الله عليه وسلم صلى الجمعة ببنى سالم فى ذى صلب لا رانوناء وحاول السمهودى التوفيق بين الروايتين بقوله : هما وإن افترقا فى بعض الأماكن فينتهيان إلى مجتمع واحد ، ولذا قال ابن شبة : ثم يقترن بذى صلب فيسمى برانوناء لمرورها عليه .

(٦) لفظ ابن سعد : « فلما أتى مسجد بنى سالم جمع بمن كان معه من المسلمين وهم مائة (الطبقات جـ ١ ص ٢٢٣)

الله عليه وسلم عن يمين الطريق [حتى جاء بنو الحُبْلَى[1]] ، فأراد أن ينزل على عبد الله ابن أُبيّ [بن سلول[2]]، وهو يومئذ سَيِّد الخزرج فى أنفسها فقال : اذْهَبْ إلى الذين دعوك فانْزِل عليهم . فقال سعد بن عُبَادة : «لا تَجِدْ يا رسول الله فى نفسك من قوله ، فقد / قَدِمْتَ علينا والخزرج تريد أن تُمَلِّكَه عليها ، فلما رَدَّ الله ذلك بالحق الذى أعطاك شَرِق بذلك ولكن هذه دارى ، ذكره [موسى بن] عُقْبَة ورَزِين . قال السيد[3] : «الذى فى الصحيح ذِكْرُ سعد [بن عُبَادة] لذلك فى قصة عيادته صلى الله عليه وسلم له من مَرَض بعد سُكْنَاه بالمدينة» . قُلْتُ ويُحْتَمَل أن سَعْداً قال ذلك مَرَّتَيْن ، والله أعلم . ٤٢٠ ظ

فَمَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ببنى ساعدة فقال له : سعد بن عُبَادة ، والمُنْذِر بن عَمْرو ، وأبو دُجَانة : «هَلُمَّ يا رسول الله إلى العِزّ والثروة والقوة والجَلَد» ، وسَعْد يقول : «يا رسول الله ليس من قومى رَجُلٌ أكثر عَذْقاً[4] ولا فم بئرٍ منى مع الثروة والجَلَد والعدد فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ثابت خَلِّ سبيلَها فإنها مأْمورة» . فمضى واعترضه سَعْد بن الرَّبيع ، وعبد الله بن رَوَاحَة ، وبَشير بن سعد ، فقالوا : «يارسول الله لا تُجَاوِزْنَا فإنا أَهْلُ عَدَد وثروةٍ وحَلْقَة» ، قال : «بارك الله فيكم ، خَلُّوا سبيلها فإنها مأْمورة» ، واعترضه زياد بن لبيد ، وفروة بن عمْرو ، من بنى بياضة ، فقالا : «يارسول الله هَلُمَّ إلى المواساة والعِزّ والثروة والعَدَد والقوة ، نحن أهل الدرك يا رسول الله» ، فقال رسول الله : «خَلُّوا سبيلَها فإنها مأْمورة» . وفى حديث البَرَاء قال : «إنِّى أنزل على أخوال عبد المطلب أُكْرِمُهم بذلك» . ثم مَرَّ ببنى عَدِىّ بن النَّجَّار وهم أخواله فقام أبو سَلِيط

---

(١) زيادة من السمهودى (جـ ١ ص ١٨٣) . وقد شرح المؤلف كلمة حبلى فيما بعد عند إيراده لبيان غريب ما سبق على اعتبار أنها وردت فى صلب تصنيفه غير أن عدم ورودها يدل على أنه نسى إثباتها فيما ينقله عن غيره ويستبعد أن يكون النساخ لجميع النسخ الخطية من كتاب المؤلف قد أغفلوها . هذا والحبلى لقب لقب به سالم بن غنم لعظم بطنه ومن ولده بنو الحبلى بطن من الأنصار والنسبة إلى حبلى حبلى وبضمتين حبلى وبضمة ففتحة كجهنى انظر القاموس المحيط .

(٢) فى السمهودى (جـ ١ ص١٨٣): فلما رآه ابن أبى وهو عند مزاحم أى الأطم محتبياً قال : « اذهب إلى الذين دعوك ..» وقد شرح المؤلف فيما بعد : مزاحم ومحتبيا مما يدل على أنه أغفل إثبات هذا النص فى صلب كتابه سهوا . وفى معجم بقاع المدينة فى وفاء الوفا (جـ٢ ص٣٧٣) قال السمهودى: مزاحم بالضم وكسر الحاء المهملة أطم كان بين ظهرانى بيوت بنى الحبلى ، وكان بزقاق ابن حيين سوق يقوم فى الجاهلية وأول الإسلام يقال لموضعها مزاحم كما سبق فى سوق المدينة .

(٣) السيد أى السمهودى والعبارة التى نقلها المؤلف عنه فى جـ ١ ص ١٨٤ من وفاء الوفا

(٤) العذق بالفتح النخلة وبالكسر المرجون بما فيه الشماريخ ويجمع على عذاق قاله فى النهاية (جـ ٣ ص ٧٧) .

وصِرْمَة بن أبي أنَس فى قومهما فقالا : «يا رسول الله نحن أخْوَالُك هَلُمَّ إلى العَدَد والمَنَعَة والقوة مع القرابة ، لا تُجَاوِزْنَا إلى غيرنا يارسول الله ، ليس أحَدٌ من قومنا أوْلَى بكَ منا لقرابتنا بك» . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خَلُّوا سبيلَها فإنها مأمورة» .

فسار حتى إذا أتت دار بنى عِدِىّ بن النَّجَّار قامت إليه وجوههم ، ثم مضى حتى انتهى إلى باب المسجد ، فَبَرَكَتْ [راحلته] على باب مسجده صلى الله عليه وسلم وذكرالأَقْشَهْرِى فى روضته عن ابن نافع صاحب مالك فى أثناء كلام نقله عن مالك أن «ناقته صلى الله عليه وسلم لما أتت موضع مسجده بركت وهو عليها وأخذه الذى كان يأْخذه عند الوَحْى» . ثم وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضِعٌ لها زِمَامَها لا يثنيها به ، ثم التفتت خَلْفَها فرجعت إلى مَبْرَكِها أول مرة ، فبركت فيه ثم تلحلحت[1] وأَرْزَمَتْ[2] ، ووضعت جِرَانَها . وجعل جَبَّار بن صخر ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل فى دار بنى سَلَمَة فلم تفعل[3] . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال : «هنا المنزل إن شاء الله» (وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيرُ المُنْزِلِين[4]) وجاء أبو أيوب فكَلَّمُوه فى النزول عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أىُّ بيوت أهلنا أقرب ؟» فقال أبو أيوب : أنَا يانَبِىَّ الله ، هذه دارى وهذا بابى وقد خَطَطْنَا رَحْلَكَ فيها . قال : «فانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لنا مقيلاً» ، فذهب فَهَيَّأَ لهما مقيلاً . وروى الطبرانى عن عبد الله بن الزبير أنه كان هناك عَرِيشٌ يَرُشُّونَه ويَعْمُرُونَه ويبتردون فيه حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فأَوَى إلى الظِّلّ فنزل فيه فأتاه أبو أيوب فقال : يا رسول الله منزلى أقرب

---

(١) فى ط وت وم تخلفت وفى ص تجلجلت وهى تصحيف تحلحلت بحاءين مهملتين وقد وردت فى رواية ابن إسحق ويرى السهيلى (ج ٢ ص ١٢) أنها مقلوبة من تلحلحت فيكون معناها لصقت بموضعها وأقامت وذلك على المعنى الذى فسره به ابن قتيبة . والحلحلة معناها الحركة فى كل من الصحاح والقاموس حلحل القوم أى أزعجهم أو أزالهم عن مواضعهم وهذا يتنافى مع استقرار الناقة فى مكانها ولذلك فالأولى إثبات كلمة لحلح بتقديم اللام على الحاء لاتفاق معناها مع سكون الناقة جاء فى الفائق (ج ٢ ص ٤٥٦) تلحلح ضد تحلحل أى إذا ثبت فى مكانه ولم يبرح وفى النهاية (ج ٤ ص ٥٢) تلحلحت أى أقامت ولزمت مكانها .

(٢) أرزمت أى صوتت والإرزام الصوت لا يفتح به الفم قاله فى النهاية والجران باطن عنق البعير .

(٣) قال السمهودى (ج ١ ص ١٨٦) : لما وجد أبو أيوب جبار بن صخر أحا بنى سليمة ينخس الناقة برجله قال أبو أيوب : يا جبار : عن منزلى تنخسها ؟ أما والذى بعثه بالحق لولا الإسلام لضربتك بالسيف .

(٤) سورة المؤمنين آية ٢٩

المنازل إليه فانقل رَحْلَك . قال : «نعم» ، فذهب بِرَحْلِه إلى المنزل ، فأتاه آخر فقال : يا رسول الله انْزِلْ عَلَيَّ ، فقال صلى الله عليه وسلم : «المَرْءُ مع رَحْلِه حيث كان» ، فَمَضَتْ مَثَلاً فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزل أبى أيوب وقَرَّ قرارُه واطْمَأَنَّتْ دارُه ونزل معه زيد بن حارثة .

وذكر ابن سعد أن أسعد بن زُرَارة أخذ بزمام النَّاقة فكانت عنده . وعند عائذ وسعيد ابن منصور أن ناقته استناخت به أولاً فجاءه ناس فقالوا : المنزل يا رسول الله ، فقال : «دَعُوها» ، فانبعثت حتى استناخت عند موضع المنبر من المسجد ثم تلحلحت فنزل عنها فأتاه أبو أيوب فقال : منزلى أقرب المنازل فائذن لى أن أنقل رَحْلَك . قال : «نعم» ، فنقل رَحْلَه وأناخ الناقة فى منزله .

وروى الحاكم وأبو سَعيد النيسابورى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل على أبى أيوب خرج جوارٍ من بنى النَّجَّار يَضْرِبْنَ بالدفوف ويَقُلْنَ :

نحن جوارٍ من بنى النَّجَّار يا حَبَّذا محمدٌ من جار

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتُحِبِّبْنَنِى ؟ » قُلْنَ : نعم يا رسول الله . فقال : « وأنا والله أُحِبُّكُنَّ » ، قالها ثلاثاً . وذكر ابن إسحق فى المُبْتَدَأ وابن هِشَام فى التيجان أن بيت أبى أيوب الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْدِمَهُ المدينة بناه تُبَّع الأول واسمه تُبَان - بضم المُثَنَّاة الفوقية وتخفيف المُوَحَّدة - أسعد[1] ، وكان معه أربعمائة حَبْر ، فتعاقدوا على ألَّا يخرجوا منها . فسألهم تُبَّع عن سِرِّ ذلك ، فقالوا : إنا نجد فى كُتُبِنا أن نَبِيّاً اسمُه محمد هذه دار هجرته ، فنحن نُقيم لعلنا نلقاه . فأراد تُبَّع الإقامةَ معهم ، ثم بنى لكل واحد من أُولئك داراً واشترى له جارية وزَوَّجها منه وأعطاه مالاً جزيلاً وكتب كتاباً فيه إسلامُه ومنه :

شَهِدْتُ على أحمد أنه رسولٌ مِنَ اللهِ بَارى النَّسَمْ

---

(١) فى ط : تبان بن أسعد وفى القاموس أسعد تبان وقد ذكر السهيلى (ج ١ ص٢٣) أن تبان أسعد اسمان جعلا اسما واحداً وأن تبان من التبانة وهى الذكاء والفطنة وفى الصحاح تبن يتبن (من باب فرح) تبناً بالتحريك صار فطنا فهو تبن . ومنه تبن بالتشديد وفى الفائق (ج ١ ص١٢٥) التبانة هى الفطنة والمراد التعمق والإغماض فى الجدل وأداء ذلك إلى التكلم بما ليس بحق .

فلو مُدَّ عُمْرى إلى عُمْرِهِ لكُنْتُ وزيراً لابْنَ عَمْ
[وجَاهَدْتُ بالسيف أعداءه وفَرَّجْتُ عن صَدْرِهِ كُلَّ هَمْ][1]

وَخَتَمَهُ بالذهب ودفعه إلى كبيرهم وسأله أن يدفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم إن أَدْرَكَهُ وإلا فَمَنْ أدركه من وَلَدِه أو وَلَد وَلَدِه ، وبنىَ للنبى صلى الله عليه وسلم داراً يَنْزِلُها إذا قَدِم المدينةَ ، فتداول الدَّارَ المُلَّاك إلى أن صارت لأبى أيوب ، وهو من وَلَد ذلك العالِم ، وأَهْلُ المدينة الذين نَصَرُوه [كُلُّهم] من أولاد أولئك العلماء . ويقال إن الكتاب الذى فيه الشِّعْر كان عند أبى أيوب حتى دفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو غريب[2] . فما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فى بيته .

وروى الترمذى وصَحَّحَه ، ويحيى بن الحَسَن العلوى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : قال : « لَمَّا قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ انْجَفَلَ الناس [إليه] فجئت لأنظر إليه ، فلما تبيَّنْتُ وَجْهَه عَلِمْتُ أن وَجْهَهُ ليس بوجه كَذَّاب ، فكان أَوَّلُ شىءٍ سَمِعْتُه يتكلم به أن قال : « يا أَيُّها النَّاس أَفْشُوا السَّلامَ وأَطْعِمُوا الطَّعَام [وصِلُوا الأَرْحَامَ[3]] ، وَصَلُّوا والنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ [بسلام[3]] . وروى ابنُ إسحق ومسلم عن أبى أيوب رضى الله عنه قال : « لَمَّا نَزَلَ عَلَىَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بَيْتِى نَزَلَ فى السِّفْل وأنا وأُمُّ أيوب فى العُلْو ، فَقُلْتُ له : يانَبِىَّ الله ، بأبى أنت وأُمِّى ، إنى

---

(١) زيادة من السهيلى (جـ ١ ص ٢٤) وزاد فى المعارف لابن قتيبة (ص ٢٨) بيتا رابعاً : وألزم طاعته كل من على الأرض من عرب أو عجم .

(٢) الحديث الغريب هو ما انفرد به راو عمن يجمع حديثه كأن ينفرد رجل فى الحديث عن الزهرى وشبهه وينقسم إلى غريب متناً وإسناداً وإلى غريب إسناداً لا متناً ولا يوجد غريب متناً لا إسناداً ولعل الغرابة فى هذا الحديث ترجع إلى إسناده دون متنه وقد ذكر السهيلى (جـ ١ ص ٢٤) إيمان تبع بالنبى صلى الله عليه وسلم إذ قد روى عنه : لا تسبو تبعا فإنه كان مؤمنا وبلفظ : لأنه كان قد أسلم ، عند الإمام أحمد ، ورواه عبد الرزاق عن وهب بن منبه قال : نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن سب أسعد وهو تبع . غير أن عبد الرزاق روى حديثا آخر عن أبى هريرة مرفوعاً : لا أدرى أتبع لعين أم لا . وهذا فى نظر السمهودى (جـ ١ ص ١٣٤) محمول على أنه صلى الله عليه وسلم قاله قبل أن يعلم بحاله . وفى المعارف لابن قتيبة أن أسعد أبا كرب الحميرى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بسبعمائة سنه وأضاف (ص ٢٨) أنه كان أول من كسا البيت الأنطاع والبرد .

(٣) زيادة من صحيح الترمذى عن يحيى عن عبد الله بن سلام نقلا عن السمهودى (جـ١ ص ١٨٨) .

لَأَكْرَهُ وأَعْظِمُ أن أكون فَوْقَك وتكون تحتى ، فاظهر أَنْتَ فَكُنْ فى العُـلْوِ ، ونَنْزِل نحن فنكون فى السُّـفْل ، فقال : « إنّ أَرْفَق بنا وبِمَنْ يَغْشَانا أن نكون فى سِفْل البيت » . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سُفْلِه وكُنَّا فوقه فى المَسْكَن ، فلقد انكسر حُبٌّ[1] لنا فيه ماء ، فَقُمْتُ أنا وأُمّ أيوب بقطيفة لنا مالنا لِحَافٌ غَيْرُها نُنَشِّفُ بها الماء [تَخَوُّفاً أن[2]] يَقْطُرَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شىءٌ فيؤذيه . وذُكِر أن أبا أيوب لم يزل يَتَضَرَّع إلى النبى صلى الله عليه وسلم حتى تَحَوَّل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العُـلْو وأبو أيوب فى السُّفْل .

قال أبو أيوب : وكُنَّا نصنع له العَشَاء ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فَضْلَهُ تَيَمَّمْتُ أنا وأُمّ أيوب مَوْضِعَ يده فأكلنا منه نبتغى بذلك البَرَكَة ، حتى بعثنا إليه لَيْلَةً بعَشَائه وقد جعلنا له فيه بَصَلاً أو ثَوْماً ، فَرَدَّهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أَرَ لِيَدِهِ فيه أَثَراً . قال : فجِئْتُه فَزِعاً فقُلْتُ : يا رسول الله بأبى أنت وأُمِّى رَدَدْتَ عَشَاءك ، ولم أَرَ فيه مَوْضِع يَدِك وكُنْتَ إذا رَدَدْتَه علينا تَيَمَّمْتُ أنا وأم أيوب مَوْضِعَ يَدِك نبتغى بذلك البَرَكَة . قال : « إنى وَجَدْتُ فيه رِيحَ هذه الشَّجَرَة وأنا رَجُلٌ أُنَاجى ، فأما أنتم فكلوه » . قال : فأكلناه ولم نضع له تلك الشجرة بعد .

وفى كتاب أخبار المدينة ليحيى بن الحَسَن[3] ، عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال :

---

(١) الحب بضم الحاء المهملة والباء الموحدة المشددة هو ما يجعل فيه الماء كالجرة والخابية والجمع أحباب وحبية وحباب والحب فارسى معرب قال أبو حاتم أصله خنب فعرب فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا حب : انظر المعرب للجواليقى (ص ١٢٠) .

(٢) « بياض بالأصول والتكلة من ابن هشام (ج ٢ ص ١١٦) .

(٣) فى السمهودى (ج ١ ص ١٨٩) وفى كتاب يحيى عن زيد بن ثابت ، ولم يذكر لنا من هو يحيى هذا ؟ وفى ميزان الاعتدال (ج ٤ ص ٣٦٨) : يحيى بن الحسين العلوى اتهمه الذهبى بوضع الأحاديث وقال إنه رافضى متأخر ، وذكر السخاوى فى الاعلان بالتوبيخ (ص ١٢٩ : ١٣٠) ثبتا بأسماء مؤرخى المدينة النبوية منهم الشريف يحيى بن الحسن الحسنى العلوى ، وهو الذى يقصده المؤلف ولم يذكر لنا السخاوى شيئا عنه سوى اسمه كما أن المستشرق فرانز روزنتال فى ترجمته الإنجليزية لكتاب الإعلان الذى ذيل به كتابه علم التاريخ عند المسلمين (ليدن سنة ١٩٥٢ م ص ٣٩٨) لم يذكر شيئا عنه فى تعليقاته كما صنع مع غيره مما يدل على أنه لم يقف على خبر له . ومما يذكر فى هذا الصدد أن السخاوى (المتوفى سنة ٩٠٢ هـ) لما ذكر السمهودى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) بين مؤرخى المدينة قال عن كتابه فى الإعلان بالتوبيخ (ص ١٣٠) إنه مفتقر إلى تحرير ونظر . فإذا صح أن كتاب وفاء الوفا الذى صنف فى أواخر القرن التاسع الهجرى فى حاجة إلى التحرير والنظر فهو بلا شك أكثر احتياجا لذلك فى أواخر القرن الرابع عشر الهجرى .

«لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي أيوب لم يدخل منزل رسول الله هدية وأول هدية دخلتُ بها عليه قَصْعَة مثرودة خُبْزَ بُرٍّ وسَمْناً وَلَبَناً ، فأضعها بين يديه ، فقلت : «يا رسول الله أرسلت بهذه القَصْعَة أُمِّي» ، فقال : «بَارَكَ اللهُ فيها» ، ودعا أصحابَه فأكلوا فلم أَرِمْ[1] البابَ حتى جاءته قصعة سعد بن عُبَادة ، على رأس غُلامٍ مغطاة فأقف على باب أبي أيوب فأكشف غِطَاءهَا لأنظر فرأيتُ ثريداً عليه عُرَاق[2] ، فَدَخَلَ بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم» . قال زيد : «فلقد كُنَّا فى بنى مالك بن النَّجَّار ما مِنْ ليلةٍ إلا على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم منا الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ويتناوبون بينهم حتى تَحَوَّلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم [من بيت أبي أيوب وكان مُقَامُه فيه سبعة أشهر[3]] وما كانت تخطئه جَفْنَة سعد بن عُبَادة وجفنة أسعد بن زُرَارة كل ليلة» . وفيه أنه قيل لأُم أيوب : « أى الطعام كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم عرفتم ذلك لمُقَامِه عندكم ؟ قالت : ما رأيتهُ أمر بطعام فصُنِع له بعينه ، ولا رأيناه أُتِىَ بطعام فَعَابَهُ . وقد أخبرنى أبو أيوب أنه تَعَشَّى عنده ليلة من قَصْعَةٍ أرسل بها سعد بن عُبَادة طَفَيْشَل[4] . فقال أبو أيوب : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهل تلك القِدْر ما لم أَرَهُ ينهل غيرها ، فكنا نعملها له ، وكنا نعمل له الهريس وكانت تُعْجِبُه . وكان يحضر عَشَاءه خمسة إلى ستة عشر كما يكون الطعام فى الكثرة والقِلَّة» .

قال ابن إسحق : «وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زَيْد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة وأعطاهما بَعِيرَيْن وخمسمائة درهم فقَدِما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنَتَيْه وسودة [بنت زمعة] زوجته وحمل زيد بن حارثة امرأتَه أُمَّ أَيْمَن مع ابنها أُسَامة بن زيد ، وخرج عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر فيهم عائشة وأختها أسماء زوج الزبير

---

(١) فى النهاية (جـ ٢ ص ١١٨ : ١١٩) قال للعباس : لا تَرِم من منزلك غدا أنت وبنوك ، أىْ لا تبرح ؛ يقال رام يريم إذا برح وزال من مكانه وأكثر ما يستعمل فى النفى .

(٢) العرق بالسكون العظم إذا أخذ منه معظم اللحم وجمعه عراق وهو جمع نادر يقال عرقت العظم واعترقته وتعرقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك – قاله فى النهاية (جـ ٣ ص ٧٧) .

(٣) زيادة من طبقات ابن سعد (جـ ١ ص ٢٢٤) والبداية والنهاية (جـ ٣ ص ٢٠٢) .

(٤) فى القاموس المحيط الطفيشل بوزن سميدع نوع من المرق .

وأم رومان [أم عائشة[1]] فلما قَدمُوا المدينة أُنزلوا فى بيت حارثة بن النعمان . وذكر رزين أن أبا بكر أرسل عبد الله بن أُرَيْقط مع زيد ليأْتيه بأَهله .

قال ابن إسحق : «وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَبْقَ بمكة منهم أحد إلا مفتون أو محبوس . ولما اطمأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم دَارُه ، وأظهر الله بها دينَه ، وسَرَّه بما جمع إليه من المهاجرين والأَنصار من أَهل ولايته ، قال أبو قيس صِرْمَة بن أبى أَنس ، أخو بنى عَدىّ بن النَّجَّار ، يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام وما خَصَّهم به من نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم :

ثَوَى[2] فى قُرَيْشٍ بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يُذَكِّر لو يَلْقَى صَديقاً مُوَاتيَا[3]
ويَعْرِضُ فى أَهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ ... فلم يَرَ مَنْ يُؤْوِى ولم يَرَ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَتانا أَظْهَرَ اللهُ دِينَهُ ... فَأَصْبَحَ مسروراً بِطَيْبَةَ رَاضِيَا
وأَلْفَى صديقاً واطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى[4] ... وَكَانَ لَنَا[5] عوناً من الله بَادِيَا
يَقُصُّ لَنَا ما قال نُوحٌ لِقَوْمِهِ ... وَمَا قَالَ مُوسَى إذ أَجَابَ المُنَادِيَا
فَأَصْبَحَ لا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِداً ... قَرِيباً ولا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا[6]
٤٢٢ و / بَذَلْنَا له الأَمْوَالَ من حِلِّ[7] مَالِنَا ... وأَنْفُسَنَا عند الوَغَى والتآسِيَا[8]
ونَعْلَمُ أَن اللهَ لا شَىْءَ غَيْرُهُ ... ونَعْلَمُ أَن اللهَ أَفْضَلُ هَادِيَا[9]

---

(١) فى الأصول : « فيهم عائشة وأختها أسماء وأمهما أم رومان » وقد أخطأ المؤلف هنا لأن أم رومان لم تكن أماً لأسماء بنت أبى بكر فأسماء كانت أختاً لعائشة لأبيها وكانت أسن منها . وأم أسماء تدعى قيلة . وقيل قتيلة بنت عبد العزى بن أسعد ابن جابر بن مالك فهى قرشية من بنى عامر بن لؤى . وقد توفيت أم رومان فى سنة ست من الهجرة وأورد ابن حجر فى الإصابة (جـ ٨ ص ٢٣٢ : ٢٣٤) بيانا مطولا عن الخلاف فى تاريخ وفاتها ، انظر ترجمة أسماء فى أسد الغابة (جـ ٥ ص ٢٩٣ : ٢٩٤) وفى الإصابة (جـ ٧ ص ٧ : ٨) .

(٢) ثوى أقام .

(٣) مواتيا موافقاً .

(٤) النوى البعد .

(٥) فى رواية : وكان له عوناً ، والضمير فى له يعود على الصديق .

(٦) فى رواية : باغيا .

(٧) فى رواية : من جل مالنا بالجيم .

(٨) الوغى الحرب والتأسى التعاون وتقرأ أيضا بتشديد السين .

(٩) عجز البيت فى البداية لابن كثير (جـ ٣ ص ٢٠٤) ؛ وأن كتاب الله أصبح هاديا ، هذا واختلاف الروايات من ابن كثير والشرح من الخشنى (جـ ١ ص ١٣٧ : ١٣٨) .

نُعَادِى الذى عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ ... جَمِيعاً وإنْ كَانَ الحَبِيبَ المُصَافِيَا

أَقُولُ إذا أَدْعُوكَ[1] فى كُلِّ بَيْعَةٍ[2] ... تَبَارَكْتَ قد أَكْثَرْتَ لاسمِكَ دَاعِيَا

أَقولُ إذا جَاوَزْتَ أَرْضاً مَخُوفَةً ... حَنَانَيْكَ[3] لاتُظْهِرْ عَلَىَّ الأَعَادِيَا

فَطَأْ مُعْرِضاً[4] إنّ الحُتُوفَ كثيرةٌ ... وإنَّكَ لا تُبْقِى لِنَفْسِكَ باقِيَا

فَوَاللهِ مَا يَدْرِى الفَتَى كَيْفَ يَتَّقِى ... إذا هو لم يَجْعَلْ لَهُ اللهُ وَاقِيَا

ولا تَحْفِلِ النَّخْلُ المُعِيمةُ[5] رَبَّها ... إذا أَصبحت رِيًّا[6] وأصبح ثَاوِيَا[7]

تنبيه : فى بيان غريب ما سبق

« حَشَدَ » المسلمون بالدال المهملة : اجتمعوا[8] . « مُتَقَلِّدِين » السيوف : جعلوا سيورَها فى أعناقهم إلى جَنْبهم الأيسر ، عادة العَرَب الآن لا كفِعْل الأتراك وغيرهم بجَعْلها فى أوساطهم . « مَلَالاً » : سآمةً . « الدَّار » : هنا القبيلة وكل قبيلة اجتمعت فى مَحَلَّة سُمِّيَتْ تلك المَحَلَّة داراً ، وسُمِّى ساكنوها بها مجازاً ، أى أَهْلُ الدَّار « تأكل القُرَى » : يأتى بيانُه فى بيان أسماء المدينة . « كَمِنًّا » : بفتح الكاف

---

(١) فى رواية : إذا صليت .

(٢) بيعة أى مسجد قاله الخشنى .

(٣) حنانيك أى تحننا بعد تحنن والتحنن الرأفة والرحمة .

(٤) فطأ معرضا أى متسعا عند الخشنى ولكن شرحها فى الصحاح أدق : يقال طأ معرضا حيث شئت أى ضع رجليك حيث شئت ولا تتق شيئا وقد أمكنك ذلك . وأورد الزبيدى هذا الشرح فى التاج ومما ذكره من الشواهد بيت عدى بن زيد سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير . هذا وقد ذكر ابن هشام (ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥) أن البيت الذى يبدأ صدره فطأ معرضاً ، والبيت الذى يليه هما لأفنون التغلبى صريم بن معشر . وقد أوردهما له ابن قتيبة مع بيتين آخرين فى الشعر والشعراء (طبعة ليدن بتحقيق دى غوى سنة ١٩٠٤ م ص ٢٤٩) غير أن الزبيدى فى التاج ذكر أن ابن دريد أنشد للبعيث البيت الذى أوله فطأ معرضا .

(٥) النخل المعيمة كما يقول الخشنى هى العاطشة من ، العيمة وهو العطش وأكثر ما يقال فى اللبن وفى الصحاح العيمة شهوة اللبن وقد عام الرجل يعيم ويعام عيمة فهو عيمان وامرأة عيمى وعند ابن السكيت العيم إفراط الشهوة إلى اللبن كالقرم إلى اللحم .

(٦) قال الخشنى : ريا : معناه سروية من الماء (بالسين) وهو خطأ والصواب مروية من الماء . ونذكر بهذه المناسبة أن طبعة المستشرق برونله لشرح السيرة للخشنى (القاهرة سنة ١٩١١ م) مليئة بالأخطاء والتصحيفات وحبذا لو أعيد طبعه محققا .

(٧) فى رواية ناويا من النوى والنوى عند الخشنى الهلاك ولم ترد بهذا المعنى فى المعجمات فالنوى البعد .

(٨) حشد يستعمل لازما ومتعدياً فحشد القوم حشوداً من باب ضرب اجتمعوا وحشد القوم حشداً من باب نصر جمعهم .

وكسر[1] الميم بعدها نون مُشَدَّدَة ، أى اسْتَتَرْنَا . «زُهَاء[2]» : بضم الزاى وبالمَدّ أى قَدْر . «العَوَاتِق» : جمع عاتق وهى الشابَّة أول ما تُدْرِك ، وقيل هى التى لم تَبِنْ[3] من والدتها ولم تُزَوَّج وقد أَدْرَكَتْ وشَبَّتْ «الولائد» : جَمْع وليدة وهى الأُنثى ، والوليد الطفل جَمْعُهُ وِلْدان . «الثَّنِيَّات»: جَمْع ثَنِيَّة وثَنِيَّةُ الوَداع بفتح الواو . قال المَجْد اللغوى[4] : «هى ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ، وقيل من يريد الشام [واختُلِف فى تسميتها بذلك فقيل لأنها موضع وداع المسافرين من المدينة إلى مكة ، وقيل لأن النبى صلى الله عليه وسلم وَدَّع بعض من خَلَّفَه بالمدينة فى آخر خَرْجَاته ، وقيل فى بعض سراياه المبعوثة عنه ، وقيل الوَدَاع اسم وادٍ بمكة ، والصحيح أنه اسم جاهلى قديم سُمِّىَ به لتوديع المسافرين[5] ،] هكذا قال أَهْلُ السِّيَر [والتاريخ[5]] وأصحاب المسالك إنها من جهة مكة ، وأهل المدينة [اليوم] يظنونها من جهة الشام ، وكأنهم اعتمدوا قول ابن قَيِّم الجوزية فى هَدْيِه ، [فإنه قال[5]] : «من جهة الشام ثَنِيَّاتُ الوَدَاع ولا يطؤها القادم من مكة [البتة[5]] » . ووجه الجمع أن كلتا الثَّنِيَّتَيْن تُسَمَّى بثنية الوداع » . [انتهى كلام ، المجد[5]] .

قُلْتُ : وقال ياقوت[6] فى المُشْتَرِك : «ثنية الوداع مشهورة قُرْب المدينة وسُمِّيت بذلك لأن الناس كانوا يودعون المسافرين إلى مكة عندها[7] » . فاقتضى كلامُه أنه يطؤها قاصِدُ

---

(١) وبفتح الميم أيضا فى القاموس المحيط : كن له كنصر وسمع كوناً استخفى .

(٢) زهاء فى العدد وزان غراب يقال هم زهاء ألف أى قدر ألف ويقال كم زهاؤهم ؟ أى كم قدرهم . قاله فى المصباح .

(٣) من بان يبين بيناً وبينونة والبين الفراق والوصل وهو من الأضداد ، قاله فى الصحاح .

(٤) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم . المجد الفيروزابادى الشيرازى اللغوى صاحب القاموس المحيط وغيره من المؤلفات والتصانيف ولد سنة ٧٢٩ هـ وتوفى سنة ٨١٧ هـ .انظر السخاوى فى الضوء اللامع (ج ١٠ ص٧٩: ٨٦ رقم٢٧٤) وللفيروزابادى عن المدينة النبوية كتاب أسماه: « المغانم المطابة فى معالم طابة ». ذكره السخاوى فى ثبت مؤلفاته فى ترجمته له (ص ٨٢) ، وذكره السخاوى مرة أخرى عند ذكره لمن كتبوا فى تاريخ المدينة وذلك فى كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٠ .

(٥) زيادة من وفاء الوفا للسمهودى (ج ٢ ص ٢٧٧) الذى نقل عبارة المجد ونقلها من بعده مؤلف هذا الكتاب .

(٦) لياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ صاحب معجم البلدان ومعجم الأدباء كتاب اسمه المشترك وضعاً والمفترق صقعا تناول فيه البلاد التى تتشابه فى أسمائها ولكن تختلف فى مواقعها طبعه وستنفلد فى جوتنجن سنة ١٨٤٦ م .

(٧) أورد ياقوت فحوى هذه العبارة فى معجم البلدان (ج ٣ ص ٢٥) : إذ قال : ثنية الوداع مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ، ثم أورد بعد ذلك أقوالا مختلفة فى سبب تسميتها .

مكة ، وتَبِعَه على ذلك فى التقريب وسبقهما إليه القاضى ، وأَيَّدَ السَّيِّد كلام صاحب الهَدْى فقال : الروايات متظاهرة على أن هذه الثَّنِيَّة هى المعروفة بذلك ، اليوم : شامِىّ المدينة بين مسجد الرَّاية الذى على ذُبَاب[1] ومَشْهَد النَّفْس الزَّكِيَّة ، يَمُرُّ فيها المارّ بَيْنَ صَدَّيْن[2] مرتفعين قُرْب سَلْع[3] ، ومن تَأَمَّل كلام ابن شَبَّة فى المنازل [وغيرها][4] لم يَرْتَبْ فى ذلك ، ويوضحه ما رواه ابن اسحق فى غزوة الغابة[5] قلت : وسيأتى سياقه فيها .

ثم قال السَّيِّد[6] : « وكَوْنُها شامِىّ المدينة لا يمنع كون هذه الأَبيات أُنْشِدَتْ عند الهجرة لأَنه صلى الله عليه وسلم رَكِبَ ناقتَه وأَرْخَى لها زِمَامَها وقال : «دَعُوها فإنها مأْمورة» ، ومَرَّ بِدُور الأَنصار كما سبق حتى مَرَّ ببنى ساعِدة ، ودارُهم شامِىّ المدينة قُرْب ثَنِيَّة الوَدَاع ، فلم يدخل باطن المدينة إلا من تلك الناحية [حتى أَتى منزله بها[7]] . وقد عَرَّج النبى صلى الله عليه وسلم فى رجوعه من بَدْر إلى ثَنِيَّة الوَدَاع ، كما ذكره ابن عُقْبَة : [أنه صلى الله عليه وسلم سَلَك حين خرج إلى بدر حتى ثُقْب[8] بنى دينار ، ورَجَع حين رَجَع من ثَنِيَّة الوداع[9]] » . قُلْتُ : فَتَحَصَّلَ من كلامه أَن ثَنِيَّة الوَدَاع ليست من جهة مكة وإنما هى

---

(١) فى معجم بقاع المدينة (ج ٢ ص ٣٠٨) من وفاء الوفا : ذباب كغراب وكتاب لغتان . قال البكرى ذباب جبل بجبانة المدينة وسبق فى المساجد بيان أنه الجبل الذى عليه مسجد الراية ، وتقدم فى الخندق ما يقتضى أن اسمه ذوباب أيضا .

(٢) فى التاج : الصد بالفتح وبالضم الجبل والسين لغة فيه . قال أبو عمرو : يقال لكل جبل صد وصد — بفتح الصاد وضمها — وسد وسد — بفتح السين وضمها — والصد والصد ناحية الوادى والشعب وهما صدان والجمع أصداد وصدود ، وصدا — بفتح الصاد وتشديد الدال — الجبل ناحيتاه فى مشعبته .

(٣) فى معجم البكرى (ج ٣ ص ٧٤٧) سلع بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة جبل متصل بالمدينة . وفى الأغانى (ج ١٥ ص ١٣٨) أنشدت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك وكان شديد الكلف بها ونشأت بسلع : لعمرك إننى لأحب سلعا لرؤيتها ومن بجنوب سلع . ثم تنفست الصعداء فقال لها : لم تنفسين والله لو أردته لنقلته إليك حجرا حجرا فقالت : وما أصنع به إنما أردت ساكنيه . هذه الرواية نسبها السمهودى (ج٢ ص٣٢٤) إلى الأصمعى .

(٤) زيادة من السمهودى (ج ٢ ص ٢٧٦) .

(٥) فى ابن هشام (ج ٣ ص ٣٢٣) : فى غزوة ذى قرد كان سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى أول من نذر بالمشركين فغدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله . . حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم فأشرف فى ناحية سلع ثم صرخ : واصباحاه ثم خرج يشتد فى آثار القوم .

(٦) لفظ السمهودى (ج ٢ ص ٢٧٦) : ولعل ذلك كان فى قدومه من غزوة تبوك قلت وذلك لأن ثنية الوداع ليست من جهة طريق مكة على أنى أقول إن ذلك لا يمنع من كونه عند الهجرة قدم من قباء لأنه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته .

(٧) زيادة من السمهودى .

(٨) فى معجم البلدان لياقوت (ج ٧ ص ٣٨٣) : مثقب (بدلا من ثقب) اسم للطريق التى بين مكة والمدينة .

(٩) زيادة من السمهودى (ج ٢ ص ٢٧٦) .

شامىّ المدينة ، خَرَج النَّبىُّ صلى الله عليه وسلم إلى جهتها فى دخوله باطن المدينة ، ولا حُجَّةَ لمن قال إنها من جهة مكة إلا ما سَبَق من قول الولائد : «طَلَع البَدْرُ علينا من ثَنِيَّات الوَدَاع» ، وقد عَلِمْتَ ما فيه .

وروى البخارى عن السائب بن يزيد قال : «أَذْكُر أنى خَرَجْتُ مع الصبيان نَتَلَقَّى
٤٢٢ظ النبى صلى الله عليه وسلم إلى ثنية الوداع مَقْدمه من تَبُوك» . قال / الحافظ فى فتح البارى: «أنكر الداوُدى هذا ، وتَبِعَه ابن القَيِّم وقال : ثَنِيَّةُ الوَدَاع من جهة مكة لا من جهة تَبُوك بل هى فى مقابلها كالمَشْرِق من المَغْرِب إلا أن يكون هناك ثَنِيَّة أُخرى فى تلك الجهة». قال ابن حجر : «ولا يمنع كونها من جهة مكة[1] أن يكون الخروج إلى الشام من جهتها . وهذا أوضح كما فى دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى ، وينتهين كلهن إلى طريق واحدة» . قلتُ : وقد راجعت الهَدْى فى غزوة تَبُوك فرأيته ذكر أن ثنية الوَدَاع شامىّ المدينة كما نقله عنه صاحب القاموس والسَّيِّد لا كما نقله عنه الحافظ ولم يَذْكُرْ فى الهَدْى فى الكلام على الهجرة شيئاً من ذلك[2] .

---

(١) فى الأصول : الحجاز . وذكر الحجاز لا يفيد فى تحقيق موقع ثنيات الوداع بالمدينة لأن المدينة تعد من الحجاز ولذلك آثرنا إثبات عبارة السمهودى .

(٢) حاول كثير من كتاب السير تحقيق موقع ثنيات الوداع التى وردت فى كتب الحديث والسيرة النبوية وكثر النقاش حولها ابتداء من عهد القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ ومن أبرز من اشترك فيه ابن القيم وابن حجر ثم استأنف البحث فيه السمهودى المتوفى سنة ٩١١ فى كتابه وفاء الوفا والقسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣ هـ فى المواهب اللدنية ومؤلف هذا الكتاب المتوفى سنة ٩٤٢ هـ والديار بكرى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ وعلى بن إبراهيم الحلبى صاحب السيرة الحلبية المتوفى سنة ١٠٤٤ هـ وأخيرا محمد بن عبدالباقى الزرقانى المتوفى سنة ١١٢٢ هـ . وذلك فى شرحه لمواهب القسطلانى وتتفاوت كتابات هؤلاء فى عرضها وإيرادها للروايات المختلفة الخاصة بثنيات الوداع ونقدها والموضوع يتصل بما يسمى حديثاً بالجغرافية التاريخية وأقدر من كتب فيه هو من أتيحت له فرصة الإقامة فى المدينة والتجوال فى ربوعها وبقاعها مثل السمهودى . وقد أورد المؤلف جانباً مما كتبه فى هذا الصدد غير أن أوفى تلخيص له نجده فيما كتبه الديار بكرى فى تاريخ الخميس (ج ١ ص ٣٤٢) حيث قال : فى خلاصة الوفا للسمهودى : ثنية الوداع شامى المدينة خلف سوقها القديمة بين مسجد الراية ومشهد النفس الزكية قرب سلع . وقال عياض هى موضع بالمدينة بطريق مكة . وفى المواهب أنشئ هذا الشعر عند قدومه . رواه البيهقى فى دلائل النبوة وأبو الحسن ابن مقرى فى كتاب الشمائل له عن ابن عائشة وذكره المحب الطبرى فى الرياض النضرة . وسميت ثنية الوداع لأن المسافر من المدينة كان يشيع إليها ويودع عندها قديماً . وصحح القاضى عياض هذا واستدل عليه بقول نساء الأنصار حين قدم عليه السلام . طلع البدر علينا من ثنيات الوداع فدل على أنه اسم قديم . وفى صحيح البخارى وسنن أبى داود والترمذى عن السائب ابن يزيد قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس يتلقونه من ثنية الوداع وهذا صريح بأنها من جهة الشام . وقال ابن القيم فى الهدى النبوى : « هذا وهم من بعض الرواة فإن ثنية الوداع هى من جهة الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام وإنما وقع ذلك عند قدومه من تبوك » . لكن قال زين الدين العراقى : يحتمل أن تكون الثنية التى من كل جهة يصل إليها المشيعون يسمونها ثنية الوداع . ثم أضاف الديار بكرى قائلا : يشبه أن يكون هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات إذ لو كان المراد بها الموضع الذى هو من جهة الشام لم يجمع ، ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر=

«أضوأ» : أنْوَر . «المَنَعَة» : بفتح النون يقال فلان فى مَنَعَة أى فى عِزّ من قومه فلا يقدر عليه من يريده . «الثروة» : بفتح الثاء المثلثة كثرة المال . «البُحَيْرَة» : يأتى الكلام عليها فى باب أسماء المدينة . «قَوْقِل» : بقاف مفتوحة فواو ساكنة فقاف مكسورة أى سِرْ حيث شئت فإنك آمن . «رانوناء» : [وهو وادٍ فى المدينة صلى فيه النبى الجمعة[1]]. «على فَتْرةٍ من الرُّسُل» : أى على انقطاع بَعْثهم ودروس أعلام دينهم . «ولو بِشِقّ تَمْرَة» : بكسر الشين المعجمة أى نصف تَمْرَة ، يريد لا يستقلون[2] من الصَّدَقة شيئاً . «مُزَاحِم» : [بضم الميم فزاى وكسر الحاء المهملة أُطُم كان بين ظهرانى بنى الحُبْلَى[3]] . «بنو الحُبْلَى» . [الحُبْلَى لقب سالم بن غَنْم بن عَوْف لُقِّب به لعِظَمِ بطنه ومن وَلَدِه بنو الحُبْلى بَطْنٌ

= مرة عند قدومه من مكة ومرة عند قدومه من تبوك فلا ينافى ما فى صحيح البخارى وغيره ولا ما قاله ابن القيم عن جابر إنه كان لا يدخل أحد المدينة إلا من ثنية الوداع ، فإن لم يعشر بها مات قبل أن يخرج فإذا وقف على الثنية قيل قد ودع فسميت ثنية الوداع حتى قدم عروة بن الورد (وهو شاعر جاهلى أخباره فى الأغانى ج ٣ ص ٨٣ : ٨٨ طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٩ م) فلم يعشر ثم دخل فقال : يا معشر يهود ما لكم وللتعشير ؟ قالوا : لا يدخلها أحد من غير أهلها فلم يعشر بها إلا مات ولا يدخلها أحد من ثنية الوداع إلا قتله الهزال ، فلما ترك عروة التعشير تركه الناس ودخلوا من كل ناحية كذا فى وفاء الوفا .وجاء فى التاج : وعشر الحمار تعشيرا تابع النهيق عشرا ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه فهو معشر ، ونهيقه يقال له التعشير . قال عروة بن الورد : وإنى وإن عشرت من خشية الردى نهاق حمار إننى لجزوع ، وفى رواية لصدر هذا البيت : وإنى إن عشرت فى أرض مالك . ومعناه أنهم يزعمون أن الرجل إذا ورد أرض وباء وضع يده خلف أذنه فنهق عشر نهقات نهيق الحمار ، ثم دخلها أمن من الوباء .

(١) بياض بالأصول والتكملة من معجم البلدان لياقوت (ج ٤ ص ٢١٤) أوردناها مختصرة . وذكر ياقوت فى مادة رانوناء أنه لم يجدها فى غير كتاب ابن إسحق الذى لخصه ابن هشام ، مع أنه وردت روايات كثيرة عن وادى رانوناء ذكرها السمهودى فى وفاء الوفا (ج ٢ ص ٢١٢ : ٢٢٠) فى الفصل الخامس الذى عقده بعنوان : بقية أودية المدينة ومجتمعها ومغايضها . فقال : ومن هذه الأودية وادى رانوناء ويقال رانون . قال ابن شبة وأما سيل رانون فإنه يأتى من قة جبل فى يمانى عير ومن حرس شرقى الحرة ثم يصب على قرين صريحه ثم سد عبدالله بن عمرو عمرو بن عثمان ثم يتفرق فى الصفاصف فيصب فى أرض إسماعيل ومحمد ابنى الوليد بالقصبة ثم يستبطن القصبة حتى يعترض قباء يمينا .. وفى رواية لابن زبالة عن عبد الله بن السائب قال : رانوناء تأتى من بين سد عبد الله بن عمرو بن عثمان وبين الحرة وتلتقى هى وواد آخر عند الجبل الذى يقال له مقمن أو مكمن.. ويلى ذلك تحقيقات جغرافية طريفة عن أودية المدينة ومسارها ومغايضها ومنها وادى رانوناء لا يتسع المقام لذكرها .

(٢) فى النهاية (ج ٢ ص ٢٣٠) : اتقوا النار ولو بشق تمرة أى نصف تمرة أى لا تستقلوا من الصدقة شيئا . واستقل الشىء وتقاله إذا رآه قليلا .

(٣) بياض بالأصل بقدر عدة كلمات والتكملة من السمهودى (ج ٢ ص ٣٧٣) وأضاف السمهودى قائلا : وكان بزقاق ابن حيين سوق يقوم فى الجاهلية وأول الإسلام يقال لموضعها مزاحم كما سبق فى سوق المدينة .

من الأنصار[1]] . «مُحْتَبِياً» : أى جمع ظَهْرَه وساقيه بثَوْب أو غَيْرِه ، وقد يَحْتَبِى بيده والاسم الحِبْوَة بالكسر[2] . «شَرِق لذلك» : بشين معجمة مفتوحة فراء فقاف ، أى ضاق صَدْرُه كمن غَصَّ[3]. «تجلجلت» بجيمين : تَحَرَّكَت[4] . «الأَقْشَهْرِى» : [هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أمين الأقشهرى عمل كتاباً سماه الروضة فيه أسماء من دُفِن بالبَقِيع[5]] . «أَرْزَمَتْ[6]» : براء فزاى صَوَّتَتْ «الجِرَان» : بكسر الجيم : مُقَدَّم عُنُق البعير من مذبحه إلى مَنْحَرِه ، فإذا بَرَك البعير ومَدَّ عُنُقَه على الأرض قيل ألقى جِرَانَه بالأرض . «انجفل[7] الناس» : أسرعوا . «الحُبّ»[8] : بضم الحاء المهملة : الخابية ويقال لها الزير . «تَيَمَّمْتُ» : قصدت . «القطيفة»[9] : دِثَارٌ له خَمْل . طَفَيْشَل : بفتح الطاء المهملة وفتح الفاء وسكون المثناة التحتية وفتح الشين المعجمة وبا للام : نوع من المَرَق .

---

(١) بياض بالأصل بقدر عدة كلمات والتكلة من القاموس المحيط وزاد الفيروز ابادى قائلا : « والنسبة إليها حبلى بالضم وبضمتين وكجهنى . وفى الاشتقاق لابن دريد (ص ٤٥٨ : ٤٥٩) ومنهم بنو الحبلى : سمى بذلك لعظم بطنه ومن بنى الحبلى عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين .

(٢) فى القاموس المحيط : الحبوة بالفتح ويضم من احتبى بالثوب اشتمل أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٣) من غص بالماء يغص غصا وغصصاً وقف فى حلقه فلم يكد يسيغه فهو غاص وغصان .

(٤) لم نعثر على تجلجلت بجيمين فى كتب غريب الحديث . ولكنها وردت فى النهاية (ج ٤ ص ٥٢) تلحلحت بحاءين مهملتين أى أقامت ولزمت مكانها ولم تبرح وهو ضد تحلحل . هذا وإذا كان المراد أن تكون الناقة قد تحركت فيمكن أن يقال تحلحلت بحاءين مهملتين مع تقديم الحاء على اللام .وذكر هذا المعنى أيضا الزمخشرى فى الفائق (ج ٢ ص ٤٥٦)

(٥) بياض بالأصول بقدر عدة كلمات والتكلة من كتاب الإعلان بالتوبيخ للسخاوى (ص ١٣٠) وينتسب صاحب الروضة إلى بلدة أق شهر فى شمال شرق الأناضول وتوفى الأقشهرى سنة ٧٣١ هـ أو سنة ٧٣٧ هـ أوسنة ٧٣٩ هـ كما فى الدرر الكامنة (ج ٣ ص ٣٠٩) ويقول فرانز روزنتال فى كتابه علم التاريخ عند المسلمين (ص ١١٢) إن الأقشهرى قام بأبحاث أثرية فى المدينة .

(٦) فى النهاية (ج ٢ ص ٧٩) : إن ناقته تلحلحت وأرزمت أى صوتت والإرزام الصوت لا يفتح به الفم . وفى القاموس المحيط الرزمة محركة صوت الصبى والناقة وذلك إذا رعت ولدها تخرجه من حلقها وأرزم الرعد اشتد صوته أو صوت غير شديد وأرزمت الناقة حنت على ولدها .

(٧) فى النهاية (ج ١ ص ١٦٨) : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس قبله أى ذهبوا مسرعين نحوه يقال جفل وأجفل وانجفل . هذا وجفل يجفل جفولا من باب ضرب مضى أوأسرع .

(٨) الحب — كما أشرنا إلى ذلك فى حاشية سابقة — فارسى معرب خنب ، وهو وعاء كالزير والجرة والجمع أحباب وحبية وحباب .

(٩) القطيفة كساء له خمل عن النهاية أو دثار ذو أهداب كأهداب الطنافس . وجمع قطيفة قطائف وقطف بضمتين ، والخمل هدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول .

«ثَوَى» : أقام . «البِضْع[1]» : بالكسر ويُفْتَح من الثلاث إلى التسع . «الحِجَّة» : بالكسر هنا : السَّنَة . «مُوَاتِياً[2]» : موافقاً . «أَلْفَى» : وَجَد[3]. «النَّوَى» : بلفظ نَوَى التَّمْر : البُعْد . «بادياً» : ظاهراً . «نائياً» : بعيداً . «من جُلّ مالِنا[4]» : مُعْظَمِه «الوَغَى» : بفتح الواو والغين المعجمة : الحرب[5] . «التَّأَسِّى» : التعاون . «البِيْعَة» : المَسْجِد[6] . «حَنَانَيْك» : أى تَحَنُّناً بعد تَحَنُّن والتَّحَنُّن الرأفة والرحمة . «فطأ مُعْرِضاً» : بضم الميم وسكون العين المهملة وكَسْر الراء والضاد المعجمة : أى مُتَّسَعاً[7]. «الحتوف» جَمْع حَتْف وهو الموت، والحتوف هنا أسباب المَوْت وأنواعه . «ولا تَحْفِلْ» : بحاء مهملة ففاء أى لا تُبَالِ ، يُقَال حفلت بكذا باليت[8] به « النَّخل » بالخاء المعجمة اسم جنس جمعى واحده نَخْلة « المعيمةُ » بضَمّ الميم وكَسْر العين المهملة وسكون التحتية : أى العاطشة من العَيْمَة بفَتْح العين المهملة

---

(١) فى المصباح البضع فى العدد بالكسر وبعض العرب يفتح واستعماله من الثلاثة إلى التسعة وعن ثعلب من الأربعة إلى التسعة يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال : بضع رجال وبضع نسوة . ويستعمل أيضا من ثلاثة عشر إلى تسعة عشر لكن تثبت الهاء فى بضع مع المذكر وتحذف مع المؤنث كالنيف ولا يستعمل فيما زاد على العشرين وأجازه بعض المشايخ فيقول بضعة وعشرون رجلا وبضع وعشرون امرأة . وفى المعجم الوسيط لا يستعمل مع المائة والألف

(٢) فى النهاية (جـ ١ ص ١٥) فى الحديث : خير النساء المواتية لزوجها : المواتاة حسن المطاوعة والموافقة وأصله الهمز فخفف وكثر حتى صار يقال بالواو الخالصة . وفى المصباح واتيته على الأمر مواتاة .

(٣) فى النهاية (جـ ٤ ص ٦٢) : لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته أى لا أجد ولا ألقى ، يقال ألفيت الشيء ألفيه إلفاء إذا وجدته وصادفته ولقيته .

(٤) فى رواية من حل مالنا .

(٥) فى المصباح : الوغى ، مقصور : الجلبة والأصوات ومنه وغى الحرب وقال ابن جنى : الوعى بالمهملة الصوت والجلبة وبالمعجمة الحرب نفسها .

(٦) فى التاج البيعة بالكسر متعبد النصارى وقيل كنيسة اليهود والجمع بيع كعنب . وفى تفسير القرطبى للآية ٤٠ من سورة الحج (جـ ١٢ ص ٧١) . البيع جمع بيعة وهى كنيسة النصارى وقال الطبرى قيل هى كنائس اليهود ، ثم أدخل عن مجاهد ما لا يقتضى ذلك . هذا ويتضح مما سبق أن البيعة ليست للمسجد .

(٧) أوردنا فى حاشية سابقة شرح الزبيدى فى التاج : يقال طأ معرضاً حيث شئت أى ضع رجلك حيث شئت ولا تتق شيئا .

(٨) من حفل الشيء والأمر وبه يحفله ويحفل به حفلا من باب ضرب عنى وبالى . وفى النهاية (جـ ١ ص ٩٥) : وتبقى حثاله لا يباليهم الله بالة أى لا يرفع لهم قدرا وأصل بالة بالية مثل عافاه الله عافية فحذفوا الياء منها تخفيفا . يقال ما باليته وما باليت به أى لم أكترث به .

وهو العَطَش ، وأكثر ما يُقال فى اللَّبَن . «رَبّها» : صاحبها . «ريًّا» :[1] أى مرتوية من الماء «ثاوياً[2]» : بالمثلثة وآخره مُثَنَّاة تحتية ، ويُرْوَى «تاوِياً[3]» بالمثناة الفوقية من التَّوَى وهو الهلاك .

---

(١) من روى من الماء ونحوه يروى ريا بالفتح والكسر وكذلك روى ، شرب وشبع فهو ريان والمرأة ريا وزان غضبان وغضبى والجمع فى المذكر والمؤنث رواء وزان كتاب . وروى البعير الماء يرويه من باب رمى حمله .

(٢) ثاويا أى مقيما من ثوى بالمكان وفيه يثوى ثواء وثويا أقام واستقر .

(٣) من توى المال يتوى توى ذهب فلم يرج ، وتوى الإنسان هلك فهو تو ، والتوى الهلاك .